ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

آب 2014 - العدد ١٩

لافتة نظري

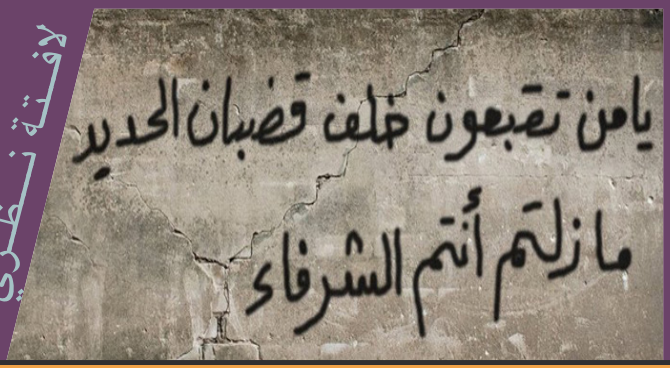

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

هيئة التحرير

رئيس التحرير : ناجي الجرف

مدير التحرير : بشرى جود

المدير الفني : بحر عبد الرزاق

الإخراج الصحفي : عمر الأمين

فريق التحرير

ثابت اسماعيل

جمال حسون

جنان علي

غياث عبد العزيز

الغلاف الأمامي: عازف الربابة- الفنان عبدالله العمري

إن الآراء الواردة في مجلة حنطة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

www.hentah.com
henta.magazine@gmail.com

تقرؤون في هذا العدد

ملف
ضياع البوصلة بين الداخل والخارج
رياض درار
٣

ع البيدر
هادي البحرة على بيدر حنطة
حاوره: ناجي الجرف
١٦

حصيدة
أهالي الغوطة الشرقية يستقبلون عيدهم الثالث
سمارة القوتلي
١٩

حكايا البيدر
أغرب لصوص التاريخ
وائل زيدان
٢٥

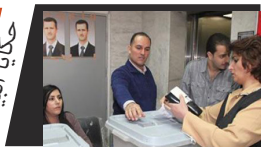

جرن حنطة
عن استراتيجية وتكتيكات قوى المقاومة
مازن كمّ الماز
٢٧

رحى
التضخم في سورية ٢٠٠٪
سعيد محمد
٣٥

حنطة جلب
اللاجئات السوريات يكافحن من أجل الحياة
ترجمة: روز الحمصي
٣٨

خميرة
الهوية والعنف، ماذا حدث وما أسباب حدوثه؟
عبد الرزاق دحنون
٤١

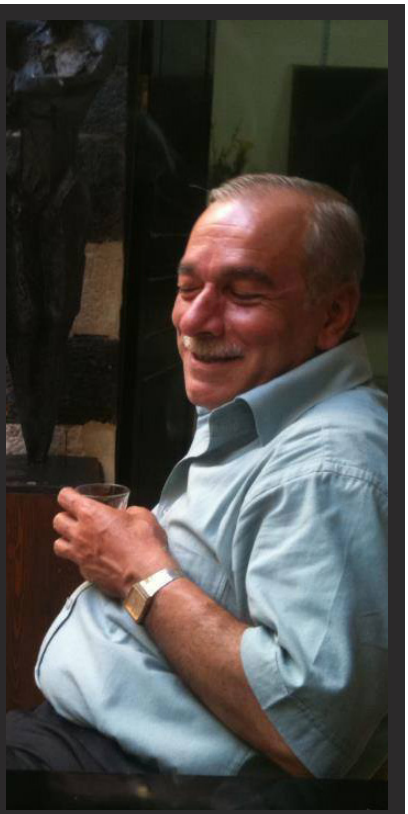

عبد العزيز الخير

مواطن من هذا البلد؛ مواطن عادي، لكنه في مرمى النيران غالباً!!

«ولد، ونشأ، وترعرع ..» معارضاً جذرياً للاستبداد أياً كانت هويته .. لذلك حكمته محكمة أمن الدولة العليا بأقسى حكم لمناضل سياسي قدره 22 سنة سجن، قضى منها 41 عاما قبل إطلاق سراحه ..

رغم ذلك بقي في مرمى «محدثي» المعارضة و«بيضهم» حتى اختطافه من قبل أجهزة النظام السوري ..

درس الطب آملاً في مساعدة الناس في العيادة .. لكن عيادته الفعلية افتتحت في المعتقل وساعد فيها آلاف المعتقلين -على اختلاف مشاربهم السياسية- أكثر ..

عاش قضيته بكل صدق وإخلاص مع الذات والآخرين، لم يفكر يوما بالجلوس على قارعة الطريق وسط هذه الفوضى العارمة، حتى وهو يستشرف المستقبل ويتخوف من المآلات التي يمكن أن تذهب إليها الانتفاضة السورية بفعل «دهاقنة السياسة»:

(إن تسلحت تأسلمت ؛ وإن تأسلمت تطرفت وتطيفت)

يالها من نبوءة!

أبا المجد: نحن بحاجة إليك، كن بخير ..!

ضياع البوصلة بين الداخل والخارج

رياض درار
معارض وباحث إسلامي

مظاهرة في مدينة حماه ٢٠١١

لم تتشكل لدينا معارضة بالمعنى الصحيح والمعروف للمعارضة عند أمم أهل الأرض، لدينا مجموعات سياسية متناحرة، أو متصارعة، هدفها إزاحة الخصم والحلول محله، ذلك أنّ برنامج الجميع يتمثل بكيفية الجلوس على كرسي الحكم، ولم تتبنَ أيٌّ منها عملية سياسية، أوخطاً تحتَكم فيه للجماهير، وتنتظر أن يأتي بها صندوق الانتخاب.

ماعدا فترة قصيرة قبل الوحدة السورية المصرية، فإن الحكم المستبد عبر مراحله المتنوعة منذ خروج المستعمر، أفرغ المعارضات من مضمونها الايديولوجي الذي لم يتحوّل إلى برامج عملية على الأرض، وبقي شعارات عريضة، سواء بالإسلام كدعوة عريضة، وكمشروع عالمي وحلم يملأ الخيال، ويرعد على المنابر دون إمكان للتنفيذ، قامت السلطات برعايته وسحبه من أيدي دعاته، وتقديم البديل من صنائعها.. والقوميون الذين تشاركوا مع الأنظمة الحاكمة في منطلقاتهم وشعاراتهم، أُسكتوا بالتدجين أو الإقصاء والإلجام، ولعلّ لعبة الجبهة الوطنية التقدمية كانت خير تمثيل على الإخصاء الذي حصل للقوى السياسية، عدا الإسلاميين الذين تم سحقهم بعد صراع مرير ساهم في إسكات كل صوت معارض، وساد الصمت بعدها.

أو بالشّيوعية، وهي منظومة ايدولوجية، أقامت دولاً، ولها امتدادات عالمية ودخلت صراعات، لكن الشّيوعيين لم يتمكنوا من الدخول في عمق المجتمع ولا منافسة الأنظمة التي بدورها تبنت السياسات الاقتصادية والشعارات الرافعة لهذه المنظومة، وفرغتها من مضمونها، بل استوعبت أفرادها في مؤسّساتها ودجّنتهم في مشاريعها.

الصمت ساد المرحلة، واكتفت المعارضات ببيانات دورية اقتصرت على محازبيها الذين تقلصوا جيلاً بعد جيل إلى حد الفناء أو الشيخوخة، الإخوان وحدهم دخلوا مرحلة صراع حتى الموت، وخسروا معركة الثمانينات، وخرجوا من الساحة.

النّظام المستبد لا يقبل شريكاً له، واستطاع تحويل الجميع إلى أدوات تنفّذ إرادته أو تزايد عليه، وصار الجميع يخشى من الجميع، وسيطرت القوى الأمنية وتسربت في كل المواقع والدوائر، وكلّ فرد أصبح عليه من نفسه رقيب.

الهامش البسيط لحركة المعارضة بقي تحت السيطرة لايسمح لها بالحركة إلا بحدود، لذلك حين فُتح المجال خلال المرحلة الانتقالية للتّوريث، تفتّحت براعم ربيع دمشق، لكنّها ما لبثت أن انهارت لسوء نموّها بغياب تجارب الزّراعة الدّيمقراطية، ولممارساتها الإقصائية التي منعت استقرارها للبناء الصّحيح عليها، فزجّ النظام أبرز قادتها في المعتقل، ليسكت البقية، بعد أن أغلق المنتديات، وأبقى على منتدى الأتاسي لمرحلة لاحقة يدرس من خلاله الأشخاص وحركة الناس والأفكار المطروحة ويراقبها، ولم تكن هناك من جدوى باستمراره، فقد اقتصر على مجموعة من النّاشطين، ولم يشكّل ظاهرة مدروسة، ولاتقدّم بمشاريع تطوير للحراك السّياسي.

لقد كان النّظام الأمني موجوداً في كلّ المعارضات، فهو يخترقها أو يساهم في تشكيلاتها أو يروضها لتتبع له وتسير على هديه، فشعاراتها وسياساتها هي سياساته، وهم يعرفون الخطوط الحمر، فلا يتجاوزونها ولا يحيدون عنها.

باستبعاد عملية المؤامرة، واتخاذ رؤية مسبقة للحكم على سير حركة المعارضة، ودون تخوين أو وصم بالارتباط والانخراط في أجندات غير وطنية، ومع التسليم الكامل بحق الجميع باتخاذ الرؤية والموقف الذي يراه مناسباً، يمكننا أن نحكم على المعارضة بافتقادها لتجارب سياسية بنائية يمكن أن تستمر على أساسها أحزاب دون انقسامات، أو يكون لها رؤى لبناء الدولة، أو تستطيع أن تخترق المؤسسات والنقابات والكيانات والرؤوس ليصبح لها رصيد يمكن أن يحتكم لصندوق انتخابي أو انتقال ثوريّ تكون هي على رأسه.

لذلك حين قامت ثورة الشباب رفضت الجميع، ولم تقبل إلاّ ببعض رموز قدّمتهم إلى حين مغشوشة بكتاباتهم، أو طول فترة إقامتهم في سجون النّظام، أو تصريحاتهم على منابر الثّورة.

مالبث الجميع أن تخلّى عن الجميع، لقد كانت المصالح والسياسات متنافسة، وآخر الهموم بناء أو الدفاع عما يستعرضونه من أقوال أو يملؤون الصحف به من كتابات، لقد كان غياب التجربة وانعدام الاستراتيجية وأشياء أخرى تمنع من تحقيق أهداف الثّورة.

المعارضة سعت عبر محاولات عديدة لتكون معارضة موحدة بمواجه النّظام المستبد.

ولقد كانت لجان إحياء المجتمع المدني أولى المحاولات بعد التوريث، وكان لبعض رموز المعارضة قراءة تسعى لتقليد الربيع الأوربي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، كانت شعارات تضامن والربيع البولوني في تلافيف أدمغتها، كانت رموز يسارية تلبرلت، وكانت تسعى لتغيير سلمي من الداخل، سعت قيادات اللجان إلى ربيع دمشق، ولكنها تلقت الضربة الأولى باعتقال العشرة الأفاضل.

لقد كشّر النّظام عن أنيابه: لا استجابة، لا إصلاح، لا تغيير.

ثمّ كان إعلان دمشق، لابد من تغيير، النظام بعد احتلال العراق يجب أن يستجيب لمواطنيه، الأوضاع تتغير والنظام يضعف، من كان يصدق!!! لقد وجه ضربة ثانية للمعارضة السلمية الودودة التي تدعوه للحوار، إذ اعتقل قيادات الإعلان، وكان قبل ذلك يعتقل رموزاً أخرى. إنه ينتقي ليخيف ويسكت ويقمع كل صوت معارض، ليس هناك حرس قديم أو جديد، النظام لم يتغير فقط لبس قفازات حريرية.

واستمرت مناورات الانشقاق والالتحاق وتبديل المواقع، وكان الإخوان المسلمون وسط هذه المناورات يجددون حضورهم ويتسابق بعض الشارع السياسي لإعادة إنتاجهم، وصار الإخوان محور ماسُمّي المعارضة الخارجية بعد ذلك.

كان يمكن لإعلان دمشق، والتجمع الوطنيّ الديمقراطيّ أن يشكلوا معارضة في الداخل تقود التغيير بعد الربيع العربي، لكن حسابات الماضي كانت تترك آثارها على التحالفات، لم يتوقف المعارضون التاريخيون عن الثأر من بعضهم والشارع يغلي وينتظر قرارهم ...لم يستطع رواد السمير أميس تقديم حضور بديل، وبرزت هيئة التنسيق الوطنية على السطح برؤية وكيان. وتفاجأ الجميع بسقوط مظلي لما سمّي المجلس الوطني، لكن على أرض بعيدة في اسطنبول التركية، وبدفع اعلامي وتغطية جماهيرية من المتظاهرين على الأرض.

الفرق بين المعارضتين... أن الخارجية أرادت أن تكون بديلاً للنظام، والداخلية مازالت تسعى لتغيير سياسة النظام.

المعارضة الخارجية التي تقدم نفسها بديلاً للنظام اختفت وراء المجلس الوطني بتحالف غير مدروس ...يقول هيثم المالح: «كنت أعرف الاتصالات الأولى التي تمت لتأسيس المجلس الوطني وقادها الأخوان المسلمون ومعهم مجموعة إعلان دمشق وترأسها رياض الترك» وأضاف: «وعلمت أنهم رشحوا برهان غليون العلماني فقط ليثبتوا للناس أنهم مع التعددية»..

في ٢ تشرين الأول ٢٠١١ تشكل المجلس الوطني في اسطنبول، وتحرك باتجاه تشجيع التسلح وقبول التدخل الخارجي، وهو الخلاف الذي برز خلال محادثات الدوحة مع هيئة التنسيق الوطنية لتشكيل الائتلاف الوطني السوري، وعلى

مؤتمر صحفي للمكتب التنفيذي لهيئة التنسيق الوطني دمشق ٢٠١١

أساسه انسحب ممثلو الإخوان رغم الاتفاق على إطلاق بيان بوقت واحد بين دمشق وباريس.

لم تتغيّر سياسة المعارضة الخارجيّة، فحلّ الائتلاف الوطنيّ الذي أُسّس في ١١ تشرين الثاني ٢٠١٢ بالدوحة بديلاً للمجلس الوطنيّ، الذي كتبت نعيه السيدة كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية. لم ينتهِ المجلس، ولكن دوره تراجع، وجاء على رأس الائتلاف شيخ دمشقي مقبول من مشايخ وتجار دمشق، وبقي الأخوان يهيمنون على الخط السّياسي الذي يديره نائب الرئيس طيفور.

كانت سياسة المعارضة الخارجية اللعب على المكونات، كان ذلك مطلب القوى الدّاعمة، فجاءت بالعلويّ والدرزيّ والاسماعيليّ والسريانيّ، وسعت لكسب الكورد مع أنها قدمت بعد برهان غليون السيد عبد الباسط سيدا، ثم راهنت على المسيحيّ جورج صبرا، ولم يكن لهم أي اهتمام ببرنامج سياسيّ ولا خطّة استراتيجيّة أوعسكريّة، ارتجالات واجتماعات جعلت رئيس الائتلاف يتقدم بمبادرة فاجأت الجميع، لم يجرؤ على تقديمها معارضو الداخل لانخفاض سقفها وابتعادها عن أي منطق سياسيّ.

لقد تراكمت أخطاء المعارضة في الخارج، حتّى بات تصرفهم وخطابهم يشكل نوعاً من استغباء السوريين الذين سئموا هذا الخطاب المكرور، والكذب المفضوح. إذ بات ينطبق عليهم القول تجار السّياسة ومعارضة الخمس نجوم. فالمواطن السوري يعرف الغثّ من الثّمين، يعرف من يمثّل مصالحه، ومن يتاجر به ويكذب عليه ويعمل على تضليله.

لقد ساهمت تصريحات المعارضين في الخارج إلى ازدواجية في الرؤية والموقف، كالتصريحات في تلميع بعض الفصائل وإتباعها للثورة السورية (جبهة النصرة وغيرها ....)، وساهمت بتريب الجيش الحر، بسوء الدعم وبالتمييز بين كتائب وأخرى، وتوقيف الدعم عن أطراف، مما اضطرها لتتحوّل إلى الفصائل الجهادية التي بدأت تشق طريقها وتكسب جماهيرية بسبب ممارسات بعض الكتائب من سرقة وخطف وقتل خصوم باسم الثّورة.

وتزايدت الفصائل الاسلامية على حساب الأخطاء وبدأت تطرح شعارات خارج أهداف المعارضة وبالتالي بعيداً عن أهداف الثّورة، ولم تتوقف تصريحات الترضية لهذه الفصائل، بحجة أنها تقاتل نفس العدو.

كذلك ساهمت بتلميع صور الولايات المتحدة باستمرار، واستسلمت لمخططات ممثلها فورد، وتصويرها أنها المدافع عن مصالح السوريين وانتقالهم نحو الديمقراطية، متجاهلةً رعاية هذه الحكومة للإرهاب والاستبداد ماضياً وحاضراً.

والعجيب موقف من كانوا يوالون روسيا والصين ويروجون لسياساتها، باتوا في صف المهاجمين لهذه السياسة، بدل أن يستخدموا هذا التاريخ لدفعهم للتدخل في هذا النزاع بشكل يخدم التغيير ويدعم الأهداف التي قامت من أجلها الثّورة.

لقد فشل أقطاب المعارضة من تقديم أنفسهم كبديل مقنع للمواطن السوري، وعجزوا عن إبراز شخصية مقنعة للسوريين يلتف حولها النّاس،

ويقبل بها المجتمع الدولي، وتمثل كارزما القيادة البديلة. إن تخبّط سياسات ومواقف المعارضة أعطت بعداً لغياب الأفق، وغياب الاستراتيجية، وتخبط التكتيك.

سياسات معارضة الخارجية بقيت تابعة، وتأثرت بالضغوط مما أدى إلى فشل جنيف٢، فهي استجابت مدفوعة بضغوط دولية، وخاضت مواجهة حول نقطة واحدة هي تشكيل الحكومة بصلاحيات كاملة، ما أعطى انطباعاً بأن هدفها الإمساك بالسلطة لا حلّ المشكلة، والجميع يعرف أن التمسك بهذه النقطة سيفجر الموقف أمام تمسك النظام بأولوية مواجهة الإرهاب، لقد كان إفشال جنيف هدفاً للتملّص من بنوده، وفتح آلية جديدة للصراع تقوم على التغييرات التي استجدت بعد اتساع العمل المسلح، ودخول أطراف جديدة غير السوريين، لقد اتسع الخرق على الراقع !!!

إنّ ممثّلي المعارضة الخارجية، ومنهم من لم يرَ سورية إلاّ على الخرائط، راهنوا على التدخل الخارجي، وهم يسمعون كل يوم أن لا تدخل، وروجوا بمحدودية أيام النظام وهاهو يثبت بعد تراجع، ويتمدد من جديد ويمدد رئيسه لولاية ثالثة، ولم تنفع مطالبهم بحظر جوي ولا بمناطق آمنة وكل ما أنجزوه أنهم فتحوا الباب للأصولية المتطرفة لتحتل مواقعهم، وترسم سياساتها على حسابهم.

معارضة اكتفت كلّ مرّة بأنها ستعيد تجديد البيت من الداخل، وفي كل مرة يخرج من بينها من ينشر غسيلها الوسخ على العالم، لذلك السؤال عن الإصلاح وإعادة الهيكلة والبناء من جديد ليست بالترجي ولا بالتمني ..تحتاج لتقييم موضوعي للبرامج، واجراءات محاسبة كاملة، وتنظيف العلق الذي علق بها، وقيام كل ذلك على أسس قانونيّة وتنظيميّة تبدأ بتعديل النّظام الأساسيّ والماليّ والإداريّ. ثمّ التّوسع لتشمل المعارضة السورية كاملة. كيانات سياسية ومدنية دون استثناء، ويشارك الجميع برسم السّياسات دون إقصاء، والابتعاد عن فكرة الممثل الشّرعي الوحيد، لأنّ التمثيل يأتي من خلال اعتراف الشعب، لا من تزوير هذا الاعتراف.

وبالمثل فإن معارضة الداخل ليست بالمستوى الذي يعطيها حقاً بتمثيل الداخل، هي أيضاً منقسمة مترددة متفاوتة الأهداف، وهي بانقسامها بين تيارات ثلاثة رئيسة أضاعت البوصلة، ولم تعطِ بديلاً مشجعا للنّظام، ولا لسياساته.

اجتماع الهيئة العامة للائتلاف الوطني ٢٠١٣

تُعتبر هيئة التنسيق الوطنية أبرز هذه التيارات في الداخل، وهي مشكلّة من عدد من الأحزاب التاريخية، محورها في أحزاب التجمع الوطني المعارض منذ الثمانينات، مع عدد من رموز مستقلة عرفت بالمعارضة للنظام وبمساهماتها الوطنية.

والهيئة أول تشكيل سياسي بعد الثورة، سعت لاستثمار الحركة الشعبية للضغط على النظام لإجراء تغيير شامل وللتحول الديمقراطيّ، والقضاء على منظومة الاستبداد والفساد. وخرجت بأكثر من وثيقة ورؤية تصب في مصلحة لاءاتها الثلاث: لا للعنف المسلح، ولا للتدخل الخارجي، ولا للطائفية. وأضافت بعد حوارات مع المجلس الوطني إسقاط النظام بكافة رموزه ومرتكزاته. وقد هوجمت وشوهت ووصفت بالعمالة، وكان هذا من سفه المعارضين الجدد وبعض من أراد تشويه معارضة الداخل لتمرير سياسات لم تجد طريقها إلا في تخريب الثورة وتبعيتها.

وتيار بناء الدولة الذي قام على اسم شخص واحد هو المعارض لؤي حسين داعية مؤتمر السمير أميس، أول مؤتمر علني جامع صدرت عنه لاءات ورؤية، لكن الشّارع المتحمّس والمندفع، والذي كان رافضاً لكل قول منطقيّ، لم يجد في مخرجات السمير أميس مايرضي نهمه. واستمر لؤي معتمداً على كتلة من دعاة المجتمع المدني ومن بعض تصريحات نارية ومقابلات جريئة ناقدة.

تيّار التغيير والتحرير كانت كتلة معارضة، لكنها اختارت المشاركة مع النّظام بعبرة الإصلاح من الداخل، وساهم قدري جميل بكتابة الدّستور الجديد والتّرويج له، وشارك مع علي حيدر في الوزارة، وكانت تجربة لا بدّ منها لإثبات أن هذا النظام غير قابل للإصلاح ...وتغيرموقف الكتلة مع الدعوة إلى جنيف وبدأت جماعة قدري تفترق عن جماعة علي حيدر وجرى الطّلاق مع رفض الانتخابات الرئاسية وعدم المشاركة بها ..وهم اليوم يقتربون من هيئة التنسيق وخطها المعارض بغاية العمل المشترك وتوحيد الجهود لمؤتمر وطني جامع يوحد المعارضة بمواجهة النظام.

القوى الكرديّة لاشكّ أنها حملت عبء تمثيل دورها بين إرضاء مشروع الاستقلال الجزئي عبر إدارة ذاتية، وبين الالتحام بالقوتين المعارضتين في الداخل والخارج. أدّى ذلك إلى انقسامهم بينهما، ولكن هذا لا يمنع من أن الكورد لامصلحة لهم بالانفصال، ولابدّ أن يشاركوا في معركة الاستقلال الثانيّ، ويكون لهم دور، وهم يستطيعون إذا اتفقوا ولابد لهم أن يتفقوا.

تمثيل المعارضة السّورية بين الدّاخل والخارج

حواس محمود
كاتب سوري

اجتماع للمجلس الوطني السوري ٢٠١١

إنّ تعثّر الثّورة السّورية، وعدم وصولها إلى النّصر المؤزّر على الاستبداد ورموزه. يفرض على البّاحث المهتمّ بالمسألة السّورية دراسة أسبابه وعوامله، وهي أسبابٌ وعواملٌ متعدّدة، لكنّنا هنا سنتناول أهمّ سببٍ مُعرقلٍ لنجاحِ الثّورة، وهو موضوع التّمثيل السّياسيّ للمعارضة بين الدّاخل والخارج.
الثّورة السّورية انطلقت نتيجة قمع وفساد النّظام السّوريّ طيلة أكثر من أربعين عاماً، ومواكبةً لثورات الرّبيع العربيّ في بداية عام ٢٠١١ انطلاقاً من تونس، ومروراً بمصر، واليمن، وليبيا.
اجتمع العامل المُستديم (وهو قمع وفساد النّظام الدّكتاتوريّ في سورية بقيادة عائلة الأسد، التي نهبت البلاد والعباد وأعاثت فساداً وطغياناً، وأبعدت النّاس عن السّياسة)، مع العامل المستحدث (وهو انطلاق شرارة الثّورات العربيّة على أنظمةٍ فاسدة، وقمعيّة تتشابه مع النّظام السّوريّ، ليتمّ انطلاق الثّورة السّوريّة المباركة التي هزّت أركان النّظام السّوريّ، وغصّت السّاحات والشّوارع السّوريّة بالشّباب خصوصاً، والشّعب عموماً، مُحتفلين بأعراس الثّورة والحرّية التي كسرت حاجز الصّمت والخوف، وإلى الأبد).
احتاجت الثّورة منذ البداية إلى حالة تنظيميّة فأُنشأت التّنسيقيّات الشّبابيّة في معظم المحافظات السّوريّة، من درعا إلى القامشلي.
وبالرّغم من محاولات النّظام احتواء الحراك، مرّة بزيادةٍ بسيطةٍ بالرّواتب بعد أحداث درعا من خلال مستشارة الرّئيس بثينة شعبان، وكان ردّ فعل الشّارع قوياً إذْ قال لها (يا بثينة يا شعبان الشعب السوري مو جوعان)، أو من خلال تأمين لقاءات لشخصيّات معارضةٍ في الدّاخل تتّسم بضعف الموقف الثّوريّ، ومنها من كانت موالية للنّظام، وهذا ما تجلّى في لقاء فندق سميراميس وغيره. إلاّ أنّ الحصيلة التّراكميّة، من نشوء الأحزاب والتّجمعات في الدّاخل والخارج أفرز كُتلتين سياسيتيْن مُتمايزتين في الهيكليّة والرؤى السّياسيّة من الثّورة هما: ١-هيئة التّنسيق الوطنيّ للتّغيير الدّيموقراطي في سورية.
٢- المجلس الوطنيّ السّوريّ الذي تحوّل (عبر توسّعه فيما بعد) إلى الائتلاف الوطنيّ لقوى الثّورة والمعارضة السّوريّة.

١-المجلس الوطنيّ السّوريّ:
كان تشكيل قوة سورية مؤتلفة أمراً ضرورياً لتوحيد وتحريك الجهود لتكون مُؤطّرةً ومُنسّقةً وفاعلة بين الدّاخل والخارج. وهذا ما تجلّى في جمعة أطلق عليها المتظاهرون «وحدة المعارضة». ونتيجة لجهود مكثّفة، وعدّة لقاءات في استانبول، تمّ تشكيل المجلس الوطنيّ السّوريّ بتاريخ ٢٠١١-١٠-٠٢، وأعلن في بيانه التّاسيسيّ أنّه يُمثّل العنوان الرّئيس للثّورة السّورية في الدّاخل والخارج. لم يكن المجلس إطاراً جامعاً للطّيف الواسع من قوى المعارضة، لكنّه كان جامعاً لأغلب القوى المعارضة التي تمثّلت فيه بشكل رئيسيّ.
وتَشكّل المجلس من بعض الشّخصيّات المستقلّة، والتّيار الإسلاميّ المستقلّ ومجموعة العمل الوطنيّ، وممثّلين عن قوى الحراك في الدّاخل، وعن «إعلان دمشق للتّغيير الدّيموقراطيّ»، وتيّار المستقبل الكرديّ. إضافةً إلى حزبين كرديّين آخرين، وجماعة "الإخوان المسلمين" في سورية، والمنظّمة الآثوريّة الدّيموقراطيّة. وشكّل المجلس أمانةً عامّةً له ومكتباً تنفيذياً.
لاقى تشكيل المجلس الوطنيّ ترحيباً شعبيّاً في الدّاخل السّوريّ، لاسيّما بين أوساط المحتجين، إذْ رفعوا في تظاهراتهم لافتات تؤيّد المجلس، وسمّوا يوم الجمعة ٢٠١١-١٠-١٧ جمعة «المجلس الوطنيّ يُمثّلني»، وأيّدته العديد من التّنسيقيات، وبخاصّة الهيئة العامّة للثّورة السّورية، ولجان التّنسيق المحليّة.

٢- هيئة التّنسيق الوطنيّ للتّغيير الدّيموقراطيّ في سورية:
عقدت هيئة التّنسيق الوطنيّ مؤتمرها الأوّل في ٢٠١١-٠٩-١٧، تحت لاءاتٍ ثلاثة: «لا للتّدخل الأجنبيّ، لا للعنف، لا للطّائفيّة»، ونصّ البيان الختاميّ للهيئة على «عقد مؤتمرٍ وطنيّ عامّ وشامل»، وطالب النّظام بوقف الحلّ الأمنيّ العسكريّ، والاعتراف بالطّبيعة الشّاملة للأزمة.
لم يكن لهيئة التّنسيق أيّ بُعدٍ وتأييدٍ شعبيّ، ولذلك لم تلقَ الاهتمام- كما هو حال المجلس الوطنيّ- وشهدت الهيئة انسحابات كثيرة من شخصيّات وتيّارات سياسيّة مختلفة، وتجدر الإشارة إلى أنّ حزب الاتحاد الدّيموقراطيّ في سورية (وهو الفرع السّوري لحزب العمّال الكردستانيّ في تركيا p k k) كان مؤتلفاً ضمن هذه الهيئة المؤلفة من قوى سورية قوميّة.
وفيما بعد ومع توالي جهود جميع قوى المُعارضة في هيئةٍ أو ائتلافٍ جديدٍ، برزت مبادرة رياض

سيف، التي عرفت باسم «المبادرة الوطنيّة السوريّة»، ولاقت قبولاً ودعماً قويّاً عربيّاً، وإقليميّاً، ودوليّاً، حيث اجتمع في لقاءٍ تشاوريّ في الدّوحة، في الثامن من تشرين الثاني ٢٠١٢، ممثّلون عن العديد من قوى وهيئات المعارضة السّياسيّة السوريّة، مع شخصيّاتٍ مستقلّة، وقوى ثوريّة أخرى، وبعد نقاشات مستفيضة، اتفق المجتمعون على تشكيل «الائتلاف الوطنيّ لقوى الثّورة والمعارضة السّوريّة» كمعبّر عن معظم الحالة في سورية.

شهدت المعارضة السّورية انسحابات عديدة للقوى الكرديّة واختلافاً كردياً/ معارضاتيّاً سوريةً في العديد من المؤتمرات واللّقاءات المعارضة، إلاّ أنّ الخلاف الكرديّ/ الكرديّ بين المجلس الوطنيّ الكرديّ المدعوم من إقليم كردستان بقيادة مسعود البارزاني، ومجلس غربيّ كردستان المدعوم من حزب العمال الكردستانيّ التّركي، أسفر في النّهاية عن انضمام المجلس الوطنيّ الكرديّ إلى الائتلاف، وتمّ تعيين الدّكتور عبد الحكيم بشّار نائباً لرئيس الائتلاف أحمد الجربا. وأبرز نقطة اتفاقٍ بين الطّرفين -الائتلاف والمجلس الوطنيّ الكرديّ- كانت: تأكيد الائتلاف على الالتزام بالاعتراف الدّستوريّ بهويّة الشّعب الكرديّ القوميّة، واعتبار القضيّة الكرديّة جزءاً أساسيّاً من القضيّة الوطنيّة العامّة في البلاد، والاعتراف بالحقوق القوميّة للشّعب الكرديّ ضمن إطار وحدة سورية أرضاً وشعباً.

إنّ موضوعَ الدّاخل والخارج، هو موضوعٌ حقيقيّ، وذو طابع جغرافيّ وسياسيّ، ذلك أنّ معارضة الخارج اتسمت بأنّ معظم أقطابها هم خارج سوريّة من أعوام عديدة، وهم ورغم معاناتهم الشّديدة مع النّظام السّوريّ، إلاّ أنّهم يختلفون عن المعارضة الدّاخليّة التي تعيش الواقع القاسيّ بصورة يوميّة، وتحتكّ بالنّظام، وهذا يؤثّر على نمط تفكيرها، وموقفها الحاسم من النّظام، وهي بعيدة عن دائرة الرّفاه واليُسر المادّي الذي يعيشه السّوريّ المُعارض في الخارج، إلاّ أنّ الاستيلاء على المعابر الحدوديّة مع تركيا والأردن، أفسح مجالاً لتداخل الدّاخل بالخارج، فصار من اليُسر أنْ يلتقي من في الدّاخل بمن في الخارج، وتحوّل قسم من معارضة الدّاخل إلى معارض بالخارج، وهذا التّصنيف في كثير من الأحيان يأخذ حجماً أكبر من حجمه الحقيقيّ، ويلجأ النّظام إلى هذا التّصنيف بصورة مقصودة لبثّ الفرقة بين أطياف المعارضة بغية تقسيمها وتشتيتها ليتيسّر له القضاء عليها في اللّحظة المناسبة. إنّ التّصنيف الأساسيّ يجب أن يعتمد على مدى جذريّة أيّ طرف معارض في موقفه من إسقاط النّظام -الهدف الأساس للثّورة السّوريّة- وبناء سورية تعدديّة ديموقراطيّة. لقد كانت كلّ المعارضة الدّاخليّة والخارجيّة متّفقة على سلميّة الثّورة، لكنّها في معظمها أجمعت على ضرورة عسكرة الثّورة بعد الفيتوات الرّوسيّة الثّلاث التي منعت مجلس الأمن من التّدخل لحلّ الأزمة السّوريّة لصالح الشّعب السّوريّ، وإيقاف القمع من النّظام، وبالتّالي إسقاط النّظام إذا لم يستجبْ للقرارات الدّوليّة تحت البند السّابع. ومع الانشقاقات الكبيرة التي حدثت للجيش السّوريّ، ومع استحالة البقاء ضمن التّظاهر السّلميّ والحاجة إلى حمايته من قبل الجنود المنشقّين والشّباب المتطوّعين في الجيش الحرّ، مع كلّ هذا تغيّر موقف المعارضة في عمومها بالدّاخل والخارج، ما عدا هيئة التّنسيق الوطنيّ التي كانت ترفض العسكرة بحجة أنّه يُمكن حلّ الأزمة سلميّاً مع النّظام. لكنّ مؤتمر جنيف ٢ بحضور المعارضة، أثبت أنّ النّظام لا يُمكن أن يتنازل عن الحكم سلميّاً بصورة قاطعة، وهنا كملاحظة هامّة، يُطلق على هيئة التّنسيق صفة معارضة الدّاخل، وهو إطلاق كبير جدّاً على هيئة التّنسيق، إذ أنّ التّنسيقيّات، والقوى الثّوريّة، وقوى الجيش الحرّ كلّها معارضة الدّاخل وليس هيئة التّنسيق وحدها.

نتيجةً للقمع المتواصل، ومع استحالة إسقاط النّظام ضمن الظّروف التي كانت موجودة قبل التّسلح والعسكرة، تحوّلت الثّورة تدريجيّاً إلى الأسلمة، وهذا تجلّى من خلال أسماء الكتائب، والألوية، والفرق العسكريّة. وكذلك من خلال نفوذ القوى الإسلاميّة في معارضة الخارج كالإخوان المسلمين، وغيرهم من القوى الإسلاميّة. أمّا شكل الدّولة، فمعظم قوى المعارضة متّفقة على أن يكون هناك نظامٌ تعدّديّ، ديموقراطيّ، يعترف بالمكوّنات الأساسيّة في سورية، وان يكون الإسلام أحد المصادر الأساسيّة للتّشريع في الدّولة الجديدة، ما عدا قوى ذات طابع إسلامويّ لا تقبل إلاّ بالدّولة الإسلاميّة. وهذا النقاش أُرجئ لصالح تكثيف الجهود باتجاه إسقاط النّظام، إذ أنّ البرلمان السّوريّ القادم هو من سيتنطّع للمهام التّشريعيّة، والدّستوريّة، والقانونيّة.

حاول النّظام، ولا يزال، ضرب الحاضنة الاجتماعيّة للثّورة، فهو يضرب الشّعب السّوريّ في المناطق المحرّرة، ومناطق مقاومته التي تديرها القوى الثّورية والجيش الحرّ، بشتّى الأسلحة الفتّاكة، وهذا ما سبّب نزوحاً كبيراً للسوريين، وألقى على عاتق المعارضة الخارجيّة مهامَ كبيرة تعجز عنها لوحدها، ناهيك عن وجود فسادٍ في إدارات هذه المعارضة. كما أنّ إمكانات المعارضة الدّاخليّة محدودة ومتواضعة جداً، وبهذا خلقت السّلطة إرباكاً للقوى الثّوريّة في الدّاخل والخارج، وشكّلت حالة فصام بين معارضة الدّاخل والخارج، كما أنّ الإعلام السّلطويّ قد كثّف من حملاته المعادية للمعارضة الخارجيّة والدّاخليّة، واتهمها بالإرهاب، والعمالة، وخيانة الوطن. كلّ هذا في ظلّ تخاذل المجتمع الدّوليّ عن نجدة الشّعب السّوريّ من كلّ النّواحي التّسليحيّة، والماديّة، والإغاثيّة، والقانونيّة، والدّبلوماسيّة، والدّوليّة بحيث عجز المجتمع الدّوليّ أمام الفيتوات الرّوسيّة الصّينيّة عن مناصرة الشّعب السّوريّ، اقلّه في الجوانب الإنسانيّة، إذ تعرّض الكثير من المعارضين وداعميهم من الحواضن الاجتماعيّة إلى التّجويع والحصار الخانق، ممّا أدّى إلى ما يُسمى بالمصالحات، والتي جاءت لصالح النّظام، وتاجر بها كما في حمص، ومخيّم اليرموك، ومناطق أُخرى. وكان الحصار من قبل النّظام مزدوجاً: داخليّاً وخارجيّاً. إذ استفاد من المواقف الرّوسيّة والإيرانيّة الدّاعمة له دبلوماسيّاً، وهذا أثّر على جهود المعارضة لدعم الشّعب في الدّاخل.

الآن باتت الضّرورة ملّحة أكثر من أيّ وقت مضي لتنسيق الجهود المعارضاتيّة بين الدّاخل والخارج عبر الاستفادة من بوّابات العبور بين سورية والدّول المجاورة، وعبر الوسائل التّكنولوجيّة الأُخرى المتعدّدة، لتأطير العمل الجماعيّ من اجل استعادة روح الثّورة، وتلافي النّواقص الفكريّة، والقانونيّة، والعسكريّة، والسّياسيّة، والتّركيز على دعم الدّاخل. ولا ننسَ ضرورة إنشاء إعلامٍ للثّورة، معاصرٍ، وقادرٍ على فضح النّظام وشرح المعاناة السّوريّة للعالم من أجل تشكيل رأيٍّ عامٍّ سوريّ ودوليّ ضاغط على نظام الأسد، وانتزاع قرارٍ ما من مجلس الأمن، أو الجمعيّة العموميّة للأمم المتّحدة، وأيضاً عبر تطوير هيكليّة الجسم المُعارض، وبخاصّة الائتلاف الوطنيّ لقوى الثّورة والمعارضة السّورية، بما يتيح المجال لإسقاط النّظام الاستبداديّ في سورية.

الإطار الآني

علي سفر
كاتب سوري

لم يكن لهذين المحددين الذين ينطبقان على عالم المجردات بنفس الدرجة التي ينطبقان فيها على عالم الماديات، أي قيمة من جهة الفعل السياسي، فلا وجود لفعل سياسي يأتي من الخارج، دون أن يكون له سند في الداخل. وقبل أن نستغرق في قراءة شكل المعادلة: داخل/ خارج، يجب أن نفكر؛ هل هذان المفهومان مهمان في سياق عملية التغيير؟ ولما علينا أن ننظر إليهما بوصفهما عالمين منفصلين؟ دون وجود الداخل لا وجود للخارج فيزيائياً، وفي فعل التغيير السياسي، غالباً ما يكون ثمة فعل ما في الداخل يستوجب أن يكون له ارتدادات وأصداء في الخارج، وبالتالي أنا أرى أن مفهوم الثنائية هنا، مختلق، وربما يكون ملفق أيضاً.

إن أول من برمج فكرة أن المعارضة السورية مقسمة فيزيائياً هو النظام، وبطريقة غبية أفلت منظريه على الشاشات ليقولوا إن المؤامرة خارجية، وأن أعداء الوطن في الخارج قاموا بتجنيد البعض في الداخل،الخ. غير أن هذه الفكرة وجدت بعض الصدى لدى فئة من المعارضين فأخذوا يرددونها على أنها واقع حقيقي. وقد ساهم تبعثر القوى المعارضة وتدخل القوى الإقليمية في الشأن السوري في رسم المشهد المطابق ذهنياً للوحة التي رسمها النظام. المسألة أعقد من اعتبار ثنائية الداخل والخارج هي المدخل لقراءة الواقع السياسي للمعارضة السورية. المعارضون الذين تم تهجيرهم تاريخياً من سورية خلال نصف قرن لم يكونوا في الخارج بإرادتهم، كما أن المعارضين في الداخل كانوا محكومين بتوجهات سياسية لم تصل لأن يكون تناقضهم مع النظام سبباً لتطفيشهم إلى الخارج، لا بل إنها أودت بهم لأن يكونوا في داخل الداخل أي في سجون النظام، وفي السجون كان البعض يقسم الأمر بطريقة أنهم في الداخل وأن رفاقهم خارج السجن هم في الخارج. !!

التصنيف الحقيقي يكون في قراءة واقع تناقضات المشاريع السياسية، ووصولها إلى حد التصادم العنفي والذي يفرض عملية إعادة تموضع جغرافي وبما يسمح بممارسة الفعل. الوجود في خارج الحدود الوطنية كان عنصر أمان للمشروع السياسي بعد أن تحول الصراع من عتبة الجدال السياسي إلى عتبة الصراع العنفي، ولنتذكر أن العنف كان ومنذ نصف قرن الشكل الأوضح في علاقة النظام مع القوى السياسية المعارضة.

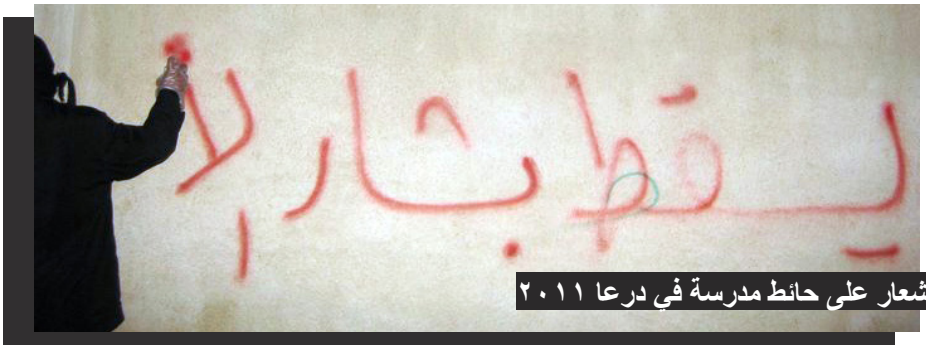
شعار على حائط مدرسة في درعا ٢٠١١

• هذه النقاط الخلافية كامنة في الداخل بذات درجة ظهورها في الخارج، وفي الأصل كل القوى السياسية وبنسب متفاوتة تتواجد في الداخل وفي الخارج في آنٍ معاً.

• لقد حاول النظام ومنذ بداية حراك المعارضة السياسية أن يبتسر فعلها عبر الفصل بين القوى السياسية بحجة أن هؤلاء في الداخل وهم وطنيون، وأولئك في الخارج وهم عملاء وخونة. ولكن المعارضة بكافة قواها كانت تستجيب لهذا الإملاء عبر اعتداد بعض القوى برؤاها وعدم قدرتها على تجاوز هذه الرؤى لصالح مشروع وطني يوحد قوى المعارضة، وقد تمت إحالة الخلافات السابقة بين قوى المعارضة التقليدية إلى أسباب سهلة كالقول بأن حركة الإخوان المسلمين على سبيل المثال التي يعيش قادتها في الخارج لأسباب معروفة هم يستوحون قراراتهم من املاءات قطرية... غير أن هذا الاتهام الذي ردده يساريون وقوميون في الداخل قد لا يكون مناسباً أو مطابقاً لحالات أخرى كمنظمة إعلان دمشق في الخارج، وهذا التناقض ينطبق على حالات أخرى. لنفترض بأن النظام استجاب للدعوات التي وجهت إليه من ناحية السماح للمعارضة السياسية أن تعمل بحرية على الأرض السورية...! هل كانت ستبقى المعادلة كما هي؟ وهل ستبقى الاتهامات كما هي؟ ما قيمة الجغرافيا حين يكون لدينا قوى سياسية تأتمر بقرارات القوى الإقليمية وهي على الأرض السورية، كما يفعل النظام وهو في الداخل حين يأتمر بالأوامر الإيرانية والروسية (تسليم السلاح الكيماوي كمثال)، أو بعض القوى المسلحة التي تتحرك بموجب رغبات ومصالح القوى الإقليمية الداعمة لها. أظن أننا نأخذ المسألة السياسية برمتها إلى تموضع ميكانيكي مبسط جداً في توقفنا عند معادلة الداخل والخارج بهذا الشكل.

• بالتأكيد لا يمكن للحالة السورية أن تتحرك دون أن يتفق المعارضون على برنامج موحد للخلاص الوطني، كما أن علينا التفكير وبشكل معكوس هنا، فالأمر يبدأ من وجود الشعب السوري صاحب القضية والمصلحة في أن يكون الجميع متفقين على برنامج واحد، وهذا الشعب لم يعد متواجداً على بقعة جغرافية واحدة، كما هو حال المعارضات السورية. فكرة التنسيق برأيي الشخصي هي المعادل الذاتي لفكرة ظلت القوى الإقليمية والعالمية ترددها طويلاً كي تبرر تقاعسها عن مساندة الشعب السوري حين كانت تقول بأن المعارضة مقسمة ومفككة. التنسيق يأتي بعد الاتفاق على برنامج سياسي وهذا الأمر لا يمكن له أن يحصل إلى عبر وضع خطوات عريضة تمثل الجميع، ولكن كيف يمكن لقوى سياسية متناقضة في المصالح أن تتفق وتنسق؟ هل ننكر أن شعار إسقاط النظام بات شعاراً يوحد الجميع؟ حتى تلك القوى التي تتحصن بوجودها في الداخل تقول بإسقاط النظام الديكتاتوري ورموزه.

من زاويتي الشخصية أعتقد أن التنسيق بين القوى معارضة لن يتم قبل أن يشترك الكل في تحديد البرنامج الوطني الذي يوحد الجميع، ولهذا كان الجميع ينتهي من خلال النقاش السياسي إلى ضرورة عقد المؤتمر الوطني الجامع الذي تدعى إليه كل الأطراف. وبينما يريد البعض ومنهم النظام أن يكون المؤتمر مفصلاً على مقاسه كما فعل في السنة الأولى من الثورة عبر عقده لجلسات الحوار الوطني في الداخل، تريد المعارضة التي باتت طريدة قمع النظام أن يعقد هذا المؤتمر في منطقة آمنة ربما يكون في الداخل أي في المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام، وربما يكون في إحدى الدول المحيطة بسورية.

وعبر هذه الجغرافيا نرى أن المعادلة المطروحة ليست سوى إطار آني قادتنا إليه ظروف الحراك وطبيعة النظام في آنٍ معاً.

صناعة الأفضليات

علاء الدين زيّات

ناشط مدني، عضو الهيئة الإدارية لـ «تماس»

خلال أقل من نصف عام تلت آذار ٢٠١١ أجرى النظام جهداً كبيراً في القطاعات الأمنية، والعسكرية، والإعلامية. عمقه الأهم إسقاط صفة الأزمة الوطنيّة، وتحويلها من صورتها العامة إلى مجموعة كانتونات مغلقة لمشكلات خاصة بكل جغرافية، عزل النّظام بإتقان هوية الأزمة لتكون جزر مغلقة تعالج بوسائل وأسلوب خاصين، وانسحب هذا المفهوم في التّداول على خطاب المعارضة ليغدو كانتون ذهنيّ، بين خارج وداخل، ولم يخلُ الأمر من تبادل التّهم وشعارات سحب الاعتراف والتّخوين.

إنّ الاستراتيجية الأهمّ المتبعة في سياسات النّظام هي في صناعة أفضليّات وتمييز وحوافز ولاء، فالتّدقيق الأمنيّ ينال فئات بقسوة دون أخرى، محافظة لوحة المَرْكبة، والسّجل المدنيّ لحامل الهويّة، والهوية القوميّة، والطائفة، وحتى الاسم، كانت وسائل إيحاء مهمّة للتّمييز في المعاملة وبالتّالي إرهاب المستهدف وتحييد مؤقت لغير المستهدف إلى أنْ يحين دوره، لقد كانت المنعكسات السّلبية لهذه الممارسة التي ابتكرها النّظام كبيرة في توريث عداء بين الأطراف صاحبة المصلحة في التّغيير (شتائم لحلب وأهلها - شتائم الرّيف على المدينة - شتائم الدّاخل على الخارج ... الخ)، ولكن بالمحصّلة تكرّست بيئات فردية وبلا إطلالة متبادلة من معايشة الأزمة، ورغم استمرار بعض جسور التّواصل إلاّ أنّ اختلاف الظّروف صنع فعلاً كتلتين كبيرتين (داخل وخارج)، ومع قساوة العنف الذي أصبح متعدّد الأطراف، وغائم الأهداف، صارت جسور التّواصل بينهما أخفض بكثير من استرجاع مفهوم الأزمة الوطنيّة مقارنة مع مشكلات ويوميّات المعيشة، والخدمات، ومصادر العيش.

رافقت السّياسة السّابقة تسويقاً لمفهوم المعارضة الشّريفة، والمعارضة المرهونة. وحتماً هذه المعايير التي يضعها النّظام ضمن سياسة التّفرقة ليست ثابتة، بل لم يسلم أحد -من أية معارضة -من قمع المنظومة الأمنيّة التي لا تسمح بأيّ خروج عن خطّ المواجهة والمعركة على «الإرهاب»، ولكن هذا الهوس بالتّصنيف نال المعارضة أيضاً بحيث أصبحت كلّ مجموعة قاضياً على الأخريات، وغاب عن الجميع مفهوم الأزمة الشّاملة وربّما حتّى اليوم هو غائب.

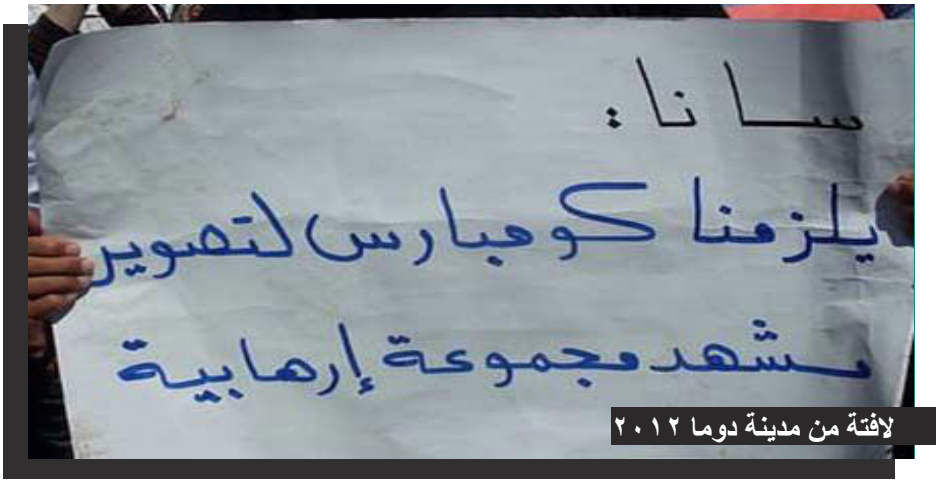

لافتة من مدينة دوما ٢٠١٢

إنّ سنوات الأزمة تطرح اليوم معياراً مختلفاً للتّصنيف بين قوى المجتمع السّوري وتيّاراته العاملة، رغم تراجع أغلبها أمام قوّة السّلطة المركزيّة وماكنتها الحربيّة، وقوّة التّيارات السّلفية الزّاحفة. إلاّ أنّ التّصنيف الجديد يتشكل اليوم وفق معيارٍ آخر، هو قوى التّغيير المجتمعيّ مقابل قوى الاستبداد والقمع، وهو ما يلزم الاستناد إليه وتعزيزه عبر جهدين:

الأوّل: فكريّ تأسيسيّ في فهم بنية المجتمع السّوري وآليّاته وحاجاته .

والثانيّ: عمليّ، يتمثّل في تكريس بدائل .

إن استفراد طرفي الصّراع العسكريين (أو عدّة أطراف للدّقة) في إنهاك الدّولة والمجتمع، وحاضر ومستقبل سورية، ما تزال مستمرة. وفي المقابل بقيت معوقات تطوير التّعاون والتّنسيق بين قوى التّغيير تتعاظم. ويأتي على رأس هذه المعوقات:

١- حدّة الصّراع الذي لا يسمح بأيّ تداول سياسيّ، بل فقط، وفقط نفيٌ مطلق لما هو آخر. في جوّ كهذا، يُصبح عليك تحديد لائحة الأصدقاء والأعداء وفق حيثيات الصّراع المتغيّر، لا وفق مشروع التغيير.

٢- غياب المنهج، إنّ غياب مشروع التّغيير، والخضوع التّام لشعار إسقاط النّظام كتبسيط ساذج للموقف سبّب ويسبّب تكتيكات مختلّة ومتناقضة، ولا ترسم أفقاً لتطوير الصّراع. بل على العكس، تحيله إلى ارتجال وتأرجح ورسم استراتيجيات بموارد الآخرين، وفق الأمنيات لا وفق الوقائع.

٣- كلّ الأطراف وظّفت المجتمع لخدمة معاركها وليس بالعكس، وبالتّالي دفع ويدفع النّاس ثمن عقليّة سائق العربة المجنزرة، الذي يرى معركتـ(ـه) فقط، ومن كوّة ضيقة جداً فقط.

٤- غاب المجتمع، وغابت قوى العمل المدنيّ في عمليّة كنس، وتهجير، وإقصاء، وإلهاء، وتصفية. وتمّ ذلك في سباق تتابعٍ تتالى عليه النّظام، والمعارضة السّياسيّة، والفصائل العسكريّة، ومنظّمات الدّعم، والتّأهيل، والمانحين. وهذا لا يُعفي مطلقاً قوى العمل المدنيّ -التي تحمّلت الكثير من المهام، وكانت واحدة من روافع صمود النّاس- من المسؤوليّة، ولكنّها فشلت في العمل العريض الواسع، واكتفت بمنتديات الدّكاكين.

يمكن استناداً للتّوصيفات السّابقة، الإجابة عن سؤال: «هل التّنسيق ما يزال مطلوباً وملحّاً»، ببساطة نعم، وبرؤية عمليّة لا شعاراتيّة سيكون متاحاً مع مزيدٍ من تكّشف العمق الحقيقيّ للأزمة، وذلك برؤية جانبها المجتمعيّ الذي يتجاوز أزمة سلطة، إنّ رؤيةً من هذا النّوع تنمو ببطء وثقة، وأحياناً بخطىً متراجعة مع إنهاكٍ مقصود، ولكن التّفكير يجب أن يساند مشروع التّغيير والالتفات إلى تمكين أدواته من الفعل.

إنّ حجم القوى المجتمعيّة المتضرّرة من النّظام يطال مختلف جوانب المجتمع السّوريّ، وينال ضفتيّ الصّراع أو ضفافه المختلفة، ولكنّ إرادة الفعل السّياسيّ غائبة، ومقموعة، وتائهة في زواريب التّشويه المقصود لطبيعة الأزمة.

لا قدرة على الإخلال بميزان القوى العنفيّ المدمّر دون اكتشاف تقاطعات قوى التّغيير العقلانيّة (تقاطعات ريف ومدينة - تقاطعات مدنيّ وعسكريّ)، وأيضاً تقاطعات داخل وخارج، وهذه الإعادة للأولويّات ستعيد رسم خطوط جبهة أخرى ليست وفق الشّعار الملتبس «الشّعب يريد إسقاط النّظام» بل وفق رؤية مشروع التّغيير، وبرنامجه وصناعة أدوات هذا البرنامج، وفي العمق استعادة الفعل المجتمعيّ من أسْر سائق العربة المجنزرة، وتطوير تداول سياسيّ ناجح للصّراع.

دواخل وخوارج

بسام يوسف
رئيس تحرير جريدة كلنا سوريون

اذا أردنا تكثيف الإجابة، فإنّه يمكننا القول بأنّ هذا الفصل بين الدّاخل والخارج هو فصل تعسّفي يتكئ على استسهال التّصنيف وربّما على أهدافٍ آنيّة قد ترضي صاحبها في لحظة استعمال المصطلح فقط.

يمكن اختراق هذا التّصنيف بسهولة إن أردنا الاستناد إليه في فهم أيّ مصطلح من مصطلحات الثّورة (فالدّاخل والخارج)، رغم الدّلالة الجغرافيّة له للوهلة الأولى، إلاّ أنّه – أي المصطلح - لاتستغرقه الجغرافيا، وهو يحتاج الى أبعد منها ليقف على ساقيه، وحتّى في حقل الجغرافيا، فإنّ هذا المصطلح يبدو مشوّهاً إنْ لمْ يتكئ على الحدث، وعلى السّياسيّ.

فالمكان أمكنة، والدّاخل دواخل، والخارج خوارج، وبكلّ لحظة ينقلب هذا المفهوم ليصبح مبهماً وغيرَ دقيق، وغالباً ما يُفضي إلى غير ما نريد.

لعلّ غيابَ العمل السّياسيّ بمعناه الكلاسيكيّ، أي غياب الأحزاب والرؤى والمشاريع السّياسيّة، سهّلت استعمال هذا التّصنيف، لكنّ الحاجة لتصنيف كهذا ستنتفي، أو ستأخذ معنىً آخراً لو كان لدينا أحزاب وبرامج سياسيّة، واصطفافات تتمّ حول هذه الرّؤى والبرامج والأحزاب.

إذاً، ما نحتاجه حقّاً بتصنيف المعارضة هو أن يكون لهذه المعارضة، وبغضّ النّظر عن أماكن وجودها، برامجَ، وقواعد، وبُنىً تنظيميّة متماسكة، وهذا من شأنه أن يُلغي عامل التّصنيف الجغرافيّ، ويدفعُ لتصنيف المعارضة وفق الصّيغة الأدقّ، أي التّصنيف السّياسيّ.

لا أدّل على هشاشة هذا المفهوم، وعى لا واقعيته، من تعدّد القراءات والاصطفافات السّياسيّة وتناقضها في كلّ منطقة جغرافيّة، وبالتّالي فإنّ هذا المفهوم لايُمكن التّأسيس عليه إلاّ في حدودٍ ضيّقةٍ جدّاً جدّاً، قد يُمكن حصره بالعمل الميدانيّ الآنيّ، قد يكون مثلا الجانب الميدانيّ العسكريّ.

ماساهم في تعميم استعمال هذا المصطلح هو تواجد أغلب القيادات السّياسيّة في الخارج، وانفصال هذه القيادات عن الدّاخل بالمعنى الحقيقيّ للانفصال، وهنا تكمن المشكلة، إذ أنّ القيادات السّياسية التي يُفترض أن تكون على تواصل واطلاع وتنسيق مع الدّاخل، لم تهتمّ كثيراً بهذا الأمر، ونقلت تواصلها من مراكز الفعل على الأرض إلى مراكز الفعل في عواصم الدّول الفاعلة، متوهّمة أنّه يُمكن لها أن تختصر الوقت وتصل إلى أهدافها بسرعة، وهاهي تصل إلى ارتهانها للخارج، وتفقد علاقتها بمصدر ومبرّر قوّتها ووجودها، أي الدّاخل. وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ تصحيح علاقة الدّاخل بالخارج هي في تشبيك الدّاخل مع الخارج على أسس سياسيّة، ورؤى، ومشاريع.

لعلّ الخطأ الأهمّ الذي وقعت به بعض أطراف الثّورة هو أسلمة هذه الثّورة، هذه الأسلمة التي لم تُقدّم الثّورة على أنّها تطرّفاً دينيّاً لدى الرّأي العام الدّولي وحسب، بل قدّمتها أيضاً بصورة سيّئة لمن قامت من أجلهم أساساً، وهم المواطنون السّوريون، ولعلّ هاجس السّلطة دفع البعض إلى ركوب موجة الاسلمة في فهمٍ خاطئ لطبيعة النّظام، وفي غيابٍ واضحٍ لصيغة وطنيّة لشكل سورية القادم، هذه الأسلمة التي يختلف عليها السّوريون داخلاً وخارجاً وهناك مروحة واسعة من الآراء حولها، لكنّ هذه المروحة لايُمكن دراستها أبداً على مقياسٍ كالدّاخل والخارج، ولاحتّى بين علمانيّ ومسلم، ولاحتّى طائفيّاً. وهذا ينطبق أيضاً على الموقف من عسكرة الثّورة، ومن التّفاوض مع النّظام، ومن القضيّة الكرديّة، ومن أغلب النّقاط المهمّة في هذه الثّورة.

لعلّ المستفيد الرّئيس من مقولة الدّاخل والخارج هو النّظام، وهو استفاد من كلّ المفاهيم التي عزّزت تشرذم وتفتّت المعارضة من الطّائفيّة، إلى المناطقيّة والعشائريّة، وحتّى الرّيفيّة والمدينيّة لايوجد أي خطوط سياسيّة يمكن أنْ نلحظ على أساسها تمايزاً بين الدّاخل والخارج.

إنّ تشبيك كلّ أطراف الثّورة داخلاً وخارجاً، وعلى اختلاف مرجعيّاتهم، والالتقاء على مشروع وطنيّ واضح، يرتكز على صيغة عقدٍ اجتماعيّ أساسه المواطنة العادلة، هو المدخل لصياغة علاقة حقيقيّة وسليمةٍ بين الدّاخل والخارج. وهو أيضاً المدخل لتصحيح العلاقة مع كلّ الأطراف الدّوليّة، ونقلها من حقل التّبعيّة إلى حقل تقاطع المصالح الوطنيّة مع المصالح الأخرى.

لافتة في مدينة كفرنبل - ٢٠١١

الانتفاضة والعلمانيون السوريون

د. زيدون الزعبي
ناشط مدني وأستاذ جامعي

وجد العلمانيون السوريون منذ انطلاقة الانتفاضة في آذار ٢٠١١ أنفسهم في مأزق حقيقي. كيف نتعامل مع حراك انطلق من المساجد؟ كيف نتعامل مع شعارات «الله أكبر» «يا الله مالنا غيرك يا الله» وسواها؟ هل ننطلق بخطاب علماني واضح؟ هل ندخل في موارية المصطلحات تفادياً للصدام «المحتمل» مع الشارع المنتفض؟

برأينا، لا يمكن وصف الموقف العلماني السوري إلا بأنه كان متشككاً ومتردداً وخائفاً إن لم نقل مهزوماً منذ البداية. لم يكن العلمانيون السوريون، لأسباب مختلفة بعضها موضوعي والآخر قد يكون موهوماً، قادرون على رسم معالم موقف واضح قادر على الأقل على تمثيلهم هم أنفسهم.

نستطيع بشيء من الموضوعية تقسيم الاتجاهات العلمانية إلى ثلاثة مواقف أساسية: يتمثل الموقف الأول بالعلمانيين الذين اختاروا الاصطفاف إلى جانب النظام بحجة أن الحراك إسلامي الطابع والتخوف من قيام دولة إسلامية وانتصار القوى الإسلامية وبالتالي اغتصاب شكل الدولة إلى أمد طويل ذهبت هذه القوى إلى اعتبار النظام المدافع الأول عن العلمانية في سورية لا بل في المنطقة برمتها. أما الاتجاه الثاني، ويمثله بشكل أساسي موقف كتلة إعلان دمشق في المجلس الوطني السوري، فقد مضى في طريق التحالف مع القوى الإسلامية وإسقاط شعارات الدولة العلمانية بحجة أن الحراك إسلامي وأن التحالف مع الإسلاميين ضرورة ملحة لإسقاط النظام مهما كان شكل النظام المستقبلي. أما الموقف الثالث فقد تمثل بالقوى العلمانية التي ضمتها هيئة التنسيق الوطنية والتي رغم عدم مسايرتها للحراك في قضايا التسلح والتدخل الخارجي، إلا أنها عجزت عن طرح العلمانية كشعار أساسي لها، واكتفت باصطلاح مبهم هو الدولة المدنية.

فشلت المواقف الثلاثة بتأسيس موقف علماني معبر، ونأت بنفسها عن مواجهة «محتملة» مع الشارع لتترك الشارع إلى قوى إسلامية انتهازية جعلت من فكرة العلمانية مرادفة للكفر والزندقة، ليتعمق خوف العلمانيين من طرح فكرة العلمانية على الملأ بل دعت بعض الأطراف إلى التحالف مع قوى لا تناقض العلمانية وحسب، بل وتهدد كيانه ككل سواء تلك التي تحالفت مع النظام أو تلك التي وجدت في جبهة النصرة حليفاً أليفاً يضم ويحب ولا مانع من تقبيله من «بين عيونه».

مظاهرة في مدينة حلب

بالطبع هناك ما يبرر هذا الموقف المتردد. إذ ليس خافياً على أحد عودة الإسلام السياسي ومنذ مطلع التسعينيات بقوة في المنطقة والعالم بعد ما أضحى أكثر تنظيماً وقوة وتمويلاً. لقد أحرز الإسلام السياسي تقدما كبيراً في دول المنطقة على حساب فشل المشروع العلماني بشقيه القومي والشيوعي. فحماس في الأرض المحتلة وحزب الله في لبنان والأخوان المسلمون في تركيا والمقاومة العراقية، قدمت بديلاً عن المشروع العلماني قادراً على تحقيق انتصارات عسكرية وسياسية واقتصادية عجزت عنها غالبية القوى العلمانية في الدول الإسلامية عموماً وفي العالم على العربي على وجه الخصوص. زد على ذلك تمسك الإعلام العربي بشكل عام بخطاب محاب ومساير للفكر الإسلامي في المنطقة بحجة أن غالبية المجتمع العربي إسلامية بطبيعتها وترفض العلمانية جملة وتفصيلاً.

لا نعرف سبباً موضوعياً يشرح استسلام العلمانيين السوريين بهذا الشكل لفكرة أن غالبية المجتمع السوري ترفض العلمانية، إذ لم تكن هناك استطلاعات رأي ولا بحوث موضوعية حول هذا الموضوع ولم يكن للنظام أن يسمح بمثل ذلك بالمطلق. بالمقابل كيف لمجتمع ثلثه على الأقل من أقليات دينية وعرقية أن يوافق على رسم شكل الدولة على أساس يقصي هذا الثلث عن المساهمة في الحكم؟ وكيف يوافق على أسلمة الدولة وتدينها؟ لماذا انتخب ثلاثة أرباع المصريين شخصيات علمانية (أحمد شفيق، وعمرو موسى، وحمدين صباحي) في الجولة الأولى من الانتخابات؟

لم يفت القطار على العلمانيين السوريين وبالتأكيد لن يفوت، لكن عليهم أولاً أن يخرجوا من قمقم خوفهم وترددهم وأن يتملكوا شجاعة الشيخ رياض درار، إمام أحد جوامع مدينة دير الزور، الذين كان الوحيد في مؤتمر هيئة التنسيق في أيلول ٢٠١١ الذي طالب بالعلمانية شكلاً للدولة على الرغم من حضور مجموعة من أهم دعاة العلمانية في البلد!!!

المصطلح الإشكالي

فائق حويجة
محامي ـ مركز المواطنة المتساوية (مساواة)

١.ماهو تحديدك لمفهوم الداخل، ومفهوم الخارج؟ هل هو تحديد جغرافيّ فقط؟ هل يُمكن النظر إلى الداخل /الخارج بوصفهما كُتْلتين مُنْفصلتيْن؟

أعتقد أن مصطلح الداخل والخارج هو مصطلح إشكالي وهو إلى درجة كبيرة غير دقيق .. ذلك أن المعيار بين الداخل والخارج هو معيار جغرافي في الأساس؛ لكن «المعارضات السورية» حمّلته شحنة أخلاقية – سياسية كل من موقعه في مواجهة الآخر؛ فبعض المعارضة الموجودة «بغالبيتها» في الداخل حمّلت معنى «الخارج» بعداً يقترب من العمالة للخارج؛ كما أنّ بعض المعارضة الموجودة «بغالبيتها» في الخارج؛ عملت على إلصاق تهمة العلاقة بالنظام إلى الموجودين بالداخل كشكل من أشكال الرد على التهمة الموجهة لها.

وفي الحقيقة –كما أعتقد– أن البعض؛ الموجودون مكانياً؛ في الداخل هم أكثر تمثلاً لأطروحات المعارضة الموجودة في الخارج – إن لم يكونوا منتجين لها – كما أنّ هناك الكثيرين من الموجودين مكانياً في الخارج هم بمثابة الناطقين للمعارضة الموجودة في الداخل.

٢.برأيك، هل هذا التقسيم الشائع للمعارضة السورية بين داخل وخارج ، هو تقسيم حقيقي ودقيق؟ وعلى أي أُسس يجب أن يتم التصنيف بين المعارضات السورية؟

لا يمكن –برأيي– الإجابة بكلمة واحدة بأنه دقيق أو غير ذلك ؛ فبالعودة للجواب الأول أميل للاعتقاد بأنه غير دقيق ... !! لكن من المنصف القول بأن أغلب المعارضة الموجودة في الخارج والتي عبّر عنها؛ أقله إعلامياً – بشكل أو بآخر: المجلس الوطني وفيما بعد الائتلاف- قد اعتمدت في رؤيتها على مجموعة من النقاط المحورية والتي تمثلت؛ بدايةً؛ في الالتحاق بما يريده الشارع أو ادعاء ذلك (...) بطريقة شعبوية؛ غير نقدية؛ ساهمت –موضوعياً وذاتياً– في الوصول إلى الأزمة المركبة التي وصلت إليها الانتفاضة؛ أضف إلى ذلك أن الشعبوية المتمثلة بتبني ما يريده الجمهور(الجمهور عايز كده ..!!) ترافقت مع نقيضها؛ مع مرور الوقت وحتى الآن؛ من حيث المراهنة الفعلية على الخارج – لا بل؛ العمل على استجلابه؛ من أجل تحقيق الانتصار في رمضان أو العيد القادم -بناءاً على وعود وأوهام أكثر من أن تُحصى؛ إضافة للسماح لـ«دول الخارج» بالتدخل ليس بالشؤون السياسية فقط –بل والاستقواء بها في الشؤون التنظيمية حتى..!!– (هناك حالات أكثر من أن تحصى لتدخلات في آليات عمل المجلس والائتلاف وبشكل مذل ومهين وباعتراف الكثيرين ممن عملوا في المجلس أو الائتلاف ..) كل هذه الأمور –وغيرها- ساهمت في تعزيز صفة الخارج؛ المحمّلة بشحنة سلبية – للمعارضين الموجودين في الخارج الذين عبر سياسياً عنهم المجلس أو الائتلاف ..

لذلك فإنني – كما قدمت – وإن كنت لا أعتقد أن كل من هو في الخارج هو «معارضة خارج» إلا أنني أتفهم التقسيم – الذهني؛ بمعنى ما -الذي يقول أن من كان زمام أمره ليس بيده ولا ينطلق من الاحتياجات الحقيقية للمجتمع «الداخل السوري» – ذاتياً أو موضوعياً – هو بمعنى ما معارضة خارج...

بالمقابل؛ فإنني أزعم أن ليس كل من في الداخل هو على النقيض من معارضة الخارج، فهناك الكثيرون من معارضي الداخل يرون رؤية المعارضين الموجودين في الخارج؛ إن لم يكونوا أشد بعدا عن الواقع – الداخل (...) إضافة لوجود بعض المعارضين المرتهنين بهذه الدرجة أو تلك لجهات أو دول معينة ..

لكن من وجهة نظري لا يمكن وضع إشارة مساواة – على الإطلاق – بين رؤية ما يسمى معارضة الداخل أو معارضة الخارج (بغض النظر عن البعد الجغرافي للموضوع ..) لمجموعة من الأسباب أقلها أنّ « جماعة الداخل» مع كلّ أخطائهم لم يسمحوا لا للخارج « ولا للدّاخل « بأن يتحكم بهم كتمثيلات وأطر سياسية، وهذا في عصر الكوارث والارتهانات الكبرى؛ أكثر من كاف ...!!!

٣.ما نُقط الاختلافْ (والخلافْ) الرئيسة بينهما: سلْمية الثّورة/عسكرتها، أسْلمة الثّورة، التّدخل العسكري الخارجي، شكْل الدّولة المُحْتمل، الموقف من المسألة الكردية...الخ؟

برأيي أن أغلب النقط السابقة هي مثار خلاف، لكن الأهم منها كلها هو درجة استقلالية كل من «المعارضتين» عن محيطهما ؟! فإذا قال البعض محقاً – أنّ النظام السوري يضغط على «معارضة الداخل» بطريقة أو بأخرى فإنه لايجرؤ على القول إلا –متجنياً – أنّ هذه المعارضة تأتمر بأمر النظام أو أجهزته، بينما يسهل القول مدعوماً بالشواهد أنّ الأيادي السعودية والقطرية والتركية والفرنسية والأميركية تدعم محاور واتجاهات ..و ...و ..و.. داخل بعض مؤسسات «معارضة الخارج».

أما النقط الخلافية الأخرى المذكورة في السؤال حول سلمية الثورة والأسلمة ..... إلخ، فهي نقطٌ صحيحة، لكن كان بالإمكان تجاوزها بطريقة صحيحة وصحية لوكان القرار سوريةً- سوريةً فقط ولم يكن «داخلياً – خارجيا!» ولنا في اتفاق منّاع-غليون كانون أول ٢٠١١ ولقاء أغلب المعارضات «الداخلية والخارجية» في القاهرة تموز ٢٠١٢ الاتفاق الذي تم نكران توقيعه؛ قبل جفاف حبره!، واللقاء الذي تم التنصل منه، قبل انفضاضه!مثالان تراجيديان على توجه الداخل وإرادة الخارج!

٤.وبرأيك، ما هو الدوْر الذي لعبه النّظام السّوري في زيادة الهوّة وتضخيم الفجوة بين معارضة الداخل والخارج؟ وما المدى الذي ساقت إليه المعارضة نفسها إلى هذا التصنيف؟

أعتقد أن النظام –مثله مثل أي نظام– وانطلاقاً من مصلحته؛ أراد تحييد البعض من أجل التركيز على محور الجهد الأساسي المتمثل بالخطرالأجنبي، وبالإرهاب المتشدد ....و ... و.. والاستثمار فيه.

وأنا – حقيقة – أتفاجأ من حجم تفاجئ البعض من هذا الموضوع، وكأنّ النظام لا يعرف مصلحته، ولا يعرف اللعب على التناقضات بما يخدم هذه المصلحة ؟!

المشكلة ليست في النظام، المشكلة في عدم معرفتنا العميقة بمفردات الواقع السوري – ومنها النظام – رغم تنفجنا؛ وادعاءاتنا بعكس ذلك.

المشكلة الأساس في عدم معرفتنا بواقعنا وبتعقيداته الإشكالية -حتى لوذكرنا بعضها

لفظاً!-، المشكلة أننا توهمنا وكذبنا على أنفسنا -ربما!!- وعلى الناس؛ بكل تأكيد، بأنّ الحظر الجويّ، والكوريدور الإنسانيّ، والتدّخل العسكري .. إلى آخر هذه المعزوفات الخاطئة في الطريق!

المشكلة، أنّ – ممثلي- الشعب السوري في الخارج - هذه الكذبة الكبرى- ليس أنهم أخطأوا في التقديرات أو الرؤى السياسية، بل هم لم يمتلكوا أية رؤية سياسية أصلاً.

٥. وأخيراً، هل التنسيق بين الداخل والخارج السوريين له جدوى بعد الآن؟ وكيْف يُمْكن تَنْظيم علاقات الداخل /الخارج السّوري، مع داخله، ومع الخارج العربي والإقليمي والدّولي؟

أعتقد ان التنسيق ضروري وضروري جداً؛ ليس بين مؤسّسات الخارج والداخل، لأنّه لا وجود لمؤسّسات -مستقلة- في الخارج؛ أما مؤسّسات الدّاخل فهي، وإن كانت تمتلك رؤية سياسية فإنّها بفعل ظروفها؛ مؤسّسات ضعيفة غير مؤثرة بدرجة كافية- على ذلك فإن التنسيق ضروري جداً بين النّاشطين المدنيين والسّياسيين في الدّاخل والخارج من أجل العمل على إنتاج رؤية وطنية جامعة يكون شغلها الأساس هو الخروج بإجابات واقعية عن الأسئلة التي يطرحها واجب إنقاذ المجتمع والدّولة السّوريين اللذين أصبحا على المحك، وليس الكلام الممجوج الطائفي أو الثورجي ، أو الشعارات التافهة والسطحية في آن.

أعتقد أن الممكنات التي يجب العمل عليها والتي يمكن لأن تجمع أغلب السوريين في هذه المرحلة تتمثل في وقف القتل ومكافحة الإرهاب من أي جهة أتى؛ وإطلاق سراح المعتقلين والمختطفين؛ وعودة اللاجئين والمهجرين ...

كما أعتقد أن هذه العناوين العريضة التي يجمع عليها غالبية السوريين -كما أدّعي- ستجد رأياً عاماً دولياً إن لم يكن داعماً فهو لايمكن أن يجهر بمعاداته لها.

أعتقد ان ترف الحديث عن < انتصارات > ليس حديث خرافة فقط، بل هو حديث يساهم باستمرار الجريمة المستمرة بحق المجتمع والشعب السوري!،وهي جريمة باستمرارها ترتقي إلى درجة العمد.

#بصمة-سورية - عدسة ميلاد شهابي

معارضات، ونظام واحد

عارف حمزة
كاتب سوري

لم يكن النّظام السّوريّ الطّرف الضّعيف، أو الغبيّ، أو الجاهل بتكتيك القضاء على رغبات المواطنين حتّى قبل قيامهم بحركة احتجاج، وليس ثورة فحسب. وكان هذا شغله الشّاغل لتقوية ودوام أسس حكمه الأبديّ، في كيفيّة محو مفهوم المواطنة والوطن والسّيادة والكرامة في دواخل المواطنين.

وكان نهجه الأوّل هو أسوأ بكثير من سياسة أيّ احتلال، كان يقوم على فكرة «فرّق تسد» الذهبيّة. والحوادث التّاريخيّة كثيرة وقائمة على تثبيت فكرة التّقسيم بين مكوّنات الشّعب من جهة، وفي داخل تلك المكوّنات ذاتها من جهة أخرى. مثل حادثة البدو في السّويداء، وحوادث الإخوان، وحادثة الأكراد في عام ٢٠٠٤، على سبيل المثال. يُضاف إلى ذلك خطوات استبعاد النّخب الثقافيّة، والعلميّة، والعسكريّة عن المراكز التي يستحقونها. إضافةً إلى قيامه بتعويم منظومةٍ متكاملة من الفساد كي تكون بديلاً عن منظومة القوانين المعطّلة في البلاد.

هذه بعض التّفاصيل عن النّظريّة الأمنيّة التي أسّسها حافظ الأسد، والتي كان عليها أن لا تغيب عن نظر المعارضة السّوريّة التي ترغب في إطاحته، ولا عن عملها.

التّقسيم الذي جرى، بعد تشكيل المجلس الوطنيّ ومن ثمّ الائتلاف السّوريّ، لم يكن موجوداً في الأشهر الأولى من الثورة. ومَن قام بتعزيز هذا المسمّى هو النّظام السّوريّ، وليس المعارضة نفسها. خاصّة أنّه من غير المأمون وجود تلك المعارضة في الداخل مع عدم قدرة الفصائل المسلّحة على حماية الأحياء، وليس المدن أو البلدات، التي تمّ تحريرها من النّظام الممتلك لزمام البطش الجويّ.

لم يكن هذا التّقسيم من النّظام سوى لتشويه صورة المعارضة بأنّها «مرتبطة بالخارج» وليس لأنّها تقيم خارج البلاد. بمعنى آخر، من أجل إلصاق تهمتيْ العمالة والخيانة بها، بالمقارنة مع معارضة الدّاخل. ويبدو أنّ المعارضة في الدّاخل قد ارتاحت لذلك التّقسيم وقبلت ذلك الوسام المؤقّت.

مع دوام عدم سقوط النّظام لوقت طويل، كما حدث في بقيّة تجارب الربيع العربيّ، ومع دوام دعم القوى الكبرى في العالم له سواء في العلن أو في الخفاء، ابتلعت المعارضة التي تقيم خارج البلاد الطّعم الذي جهّزه النّظام لها؛ فباتت فاقدةً لقرارها الشّخصيّ، كي لا يُفهم مصطلح الوطنيّ بطريقة مغايرة، لصالح الدّول الضّعيفة ديبلوماسيّاً، وسياسيّاً، وعسكريّاً، والقويّة ماديّاً كدول الخليج.

ومع دوام الوقت كذلك، جعل تلك المعارضة بعيدة عن الذي يجري على الأرض، مع خطط النّظام السّامة في اختراق الجيش الحرّ وتفكيكه من الدّاخل من خلال صنع كتائب إسلاميّة ثبت أنّها بعيدة عن أهداف الثّورة السّوريّة المُطالبة بدولة الحقّ والمواطنة. وبعضها الآخر مرتبط مباشرة بالاستخبارات السّوريّة. كما أنّها بدت غير قادرة، خاصّة للنّاحية العسكريّة، على تشكيل قيادة موحّدة لمقاتليها على الأرض.

والشّيء المؤسف الذي قد تصل إليه معارضة الخارج، هو التفاتها إلى صراعاتها الشّخصيّة وتبنّي قرارات الدّول الدّاعمة، أكثر من الالتفات إلى هاجس المواطن الذي ينسحق أكثر مع استمرار الصّراع، وهاجس الوطن الذي قد يُدمّر بشكل كامل.

بمعنى آخر، على المعارضة أن تملك قرارها الشخصيّ والوطنيّ لتحرير البلد من النّظام الدّيكتاتوريّ، وكذلك استرتيجيّة واضحة للقيام بذلك. وبعد ذلك فإنّ كلّ قضايا الوطن، وليس القضيّة الكرديّة فحسب، ستُحلّ بمجرّد الوصول إلى دولة القانون، حيث يكون القانون هو البديل المنطقيّ للبطش الذي عاناه الجميع.

ليست الثّورة السّلميّة أو الثّورة المسلّحة، وكذلك التّدخّل الخارجيّ، هو ما يفرّق بين المعارضة التي في الخارج، والمعارضة التي في الدّاخل. (فالذي حوّل الثّورة إلى مسلّحة هو النّظام نفسه، النّظام هو الذي دفع الأمور دفعاً نحو التّسلّح وحماية النّفس، وليس المعارضة)، بل هو عيْش ما يجري على الأرض منذ عشرات السّنين من قبل النّظام الدّيكتاتوريّ في سورية.

وإذا كانت معارضة الخارج قد قطعت كلّ السبل مع سلميّة الثورة، فإنّ التصاق معارضة الداخل

اعتصام الساعة حمص ٢٠١١

بها هو أمر طوباويّ ليس إلاّ. خاصّة مع بطش النّظام في تهجير واعتقال وقتل عشرات الآلاف من الشبّان والشّابات الذين آمنوا بفكرة سلميّة الثّورة من أجل إسقاط النّظام. فكأنّ معارضة الدّاخل تتبنّى فكرة النّظام في الضّحك على الشّعب بأنّ هذا النّظام هو نظام وطنيّ، وأنّ إسقاطه بالقوّة العسكريّة هو عمل غير وطنيّ!!. وقد يصل بهم الأمر إلى تشبيه ذلك بأنّه اعتداء على الدّستور (هل قلنا دستور؟؟) أو احتلال من دول أخرى.

ليست صور التّلفزة والإعلام وحدها هو ما يعانيه الشّعب السّوري حقيقة، فكلّ مواطنٍ سوريٍّ عاش كارثة حقيقيّة، وعلى المعارضة- أو المعارضات- أن تلتفت له ولكارثته من أجل إعادة الحقّ لمن تمّ الاعتداء عليه بأيّ طريقة تحفظ الوطن والشّعب والحقّ.

في كثير من الأحيان كنتُ أتمنّى لو أنّ معارضة الدّاخل تقيم في المدن والأرياف التي تتعرّض للقصف والحصار اليوميّين، وللتّجويع الجماعيّ، طالما تناسَوا كلّ التّاريخ الدّمويّ لهذا النّظام ومعتقلاته، وأزلامه، وأفكاره غير السّوريّة وغير الوطنيّة.

وبالنسبة لي، فإنّ الفظائع التي كانت تجري، وما زالت تجري، في معتقلات النّظام وفروعه الأمنيّة وسجونه لوحدها بحاجة لتدخّل دوليّ لقلب نظام الحكم في سورية، وهذا التّدخّل الدوليّ ستفهمه معارضة الدّاخل على أنّه تدخّل عسكريّ فحسب.

ومن نافل الكلام القولُ إذا كانت معارضة الخارج تقيم خارج البلاد، فإنّ معارضة الدّاخل تقيم خارج ما يلاقيه الشّعب السّوريّ من بطش وقتل وتنكيل.

الثورة السورية بين الداخل والخارج وضياع التمثيل

مصطفى عبدي

كاتب سوري

مع انطلاقة الثورة السورية ظهرت تساؤلاتٌ عن ماهيتها وأهدافها، وحتى لا تتم سرقتها، بدأ النشطاء في مختلفِ مناطق سورية بالتجمّع وتشكيل تنسيقياتٍ وهيئاتٍ بهدف بناء خطواتٍ فكريةٍ وبرنامجٍ سياسي للثورة، وتصاعدت وتيرة العمل في الداخل، وظهرت قياداتٌ للحراك الشبابي باسم الثورة، وظهرت أصواتٌ تنادي بإعادة الروح إلى «إعلان دمشق»، وأصوات أخرى تنادي بتأسيس كيانٍ سياسي وليد باسم الثورة، حتى تم رجحان الخيار الأول ومعه ضاعت الثورة!.

ورغم ذلك فإن خيار الثوار في الداخل كان في أن من يمثل الثورة لا يمكن أن يكون في الخارج، فأسسوا لجان التنسيق المحلية بدايةً لتكون هي القيادة الفعلية للثورة، تلك الخطوة لم ترُق للقيادات التقليدية التي اجتمعت وأسست «هيئة التنسيق الوطنية لقوى المعارضة» وكان لتيار بناء الدولة أيضاً موطئ قدم، في أن يرسم له خطاً في أفق المعارضة.

أمام هذا وتصاعد وتيرة العنف والنفي، آثر المعارضون في «الخارج» الدعوة لعددٍ من اللقاءات في: (اسطنبول وانطاليا والدوحة وبروكسل والقاهرة)، لتكتمل الجهود في الإعلان عن «المجلس الوطني السوري»، ليكون «كتلة المعارضة الخارجية» ومن ثم «الائتلاف الوطني السوري لقوى الثورة والمعارضة».

كثيرون من شبابِ الثورة يرونَ أن شيوخَ المعارضة خطفوا الثورة سياسياً، وهم الذين إما عاشوا بعيداً عن سورية، أو عاشوا داخلها لكنهم عانوا من أمراض المعارضة السورية السرية وخلافاتها، ولم يصلوا إلى مستوى نقاءِ الشباب الفكري أو الثوري، ولم يفهموا أو يدركوا أن متطلباتِ الثورة تختلف جوهرياً عن متطلبات المعارضة، وأن زمن الثورة يختلف عن زمن الاستبداد.

إذا فإن المعارضة السورية اليوم هي «معارضة الداخل» المتمثلة بالكتائب التي تقاتل النظام، والتنظيمات الراديكالية/تنظيم دولة الخلافة، ومعارضة الخارج المنهمكة في إعادة الهيكلة، والانتخابات، والحكومة بتمثيلٍ وتوظيفٍ خارجيين مع برامج نظرية تهدف للعودة إلى الداخل والعمل فيه، ولكن تلك المعارضة لا تجد لها مساحةً ولو صغيرة للعمل أو افتتاح مكتبٍ لأنها «بدون شرعية»، ولعل تظاهرة السوريين في الشهر الماضي أمام مقر الحكومة كان خير عنوان، إضافةً إلى التظاهرات في الداخل، حيث أنهم وزعوا قائمةً طويلة من المطالب تصب جميعها في خانة تفعيل عمل مكاتب الحكومة والائتلاف في الداخل السوري، وليس «الخارج» كما يحدث الآن.

الداخل والخارج، والفصل بينهما حقيقي

نعم؛ إنه تقسيمٌ دقيق وله أساسٌ واقعي وحقيقي له أسبابه وموجباته، بل يكاد يكون بنيوياً، ولعل إصرار «المعارضة التقليدية» على ركوب أمواجِ الثورة، ورفضهم الانخراط في مشاريع الشباب بطوباويةِ وانفعاليةِ المثاليين ساهم في تعمق الخلافات، وتوسيع الشرخ، الأمر الذي ولّد تقسيماً بنيوياً في قلب المعارضة السورية، التي باتت جزأين: « معارضة الخارج\معارضة الداخل»، بدون أن يكون بينهما أي تكاملٍ أو تنسيق، بل في الكثير من الأحيان نجد التعارض والخلافات وقد صلت لحدِّ بروز مشكلةٍ كبيرةٍ فيما يتعلق بالتمثيل والقيادة بين معارضتي الداخل والخارج، فالجدل حول أولوية تمثيل الثورة، وبالتالي لمن أولوية القيادة، بقي بين داخلٍ وخارجٍ، ونتج عنه سوءُ فهم كلٍّ من الطرفين للآخر، الأمر الذي نتج عنه تخوينُ كل طرفٍ للآخر، واتهامه بالتبعية أو العمالة للمجال الجغرافي المتواجد فيه.

هوية الخلاف والاختلاف في كافة القضايا

الاختلاف كما أشرت كان خلافاً على «قيادة الثورة»، ورسم أبعادٍ وأهدافٍ لها، وكان النظام ذكياً في التعامل مع ذلك، فهو الذي روّج من خلال إعلامه هذا التصنيفَ، «معارضة الخارج»، وطالب قياداتها بالعودة بمراسيم عفوٍ تارةً، أو من خلال أبواقه الإعلامية تارةً أخرى، في وقتٍ كان ينهك فيه أية شخصيةٍ يُشك في أنها «معارضة».

الثورة السورية لم تكن تقبل أن يتم تسميتها ب»معارضة»، بل كانت «ثورة» ضد «نظام الطاغية، بشار الأسد»، ولم تكن تعترف بالنظام، لتقبل أن تكون معارضةً له، ولكنها وجدت نفسها فجأة وبعد مرور عامين على الثورة تقبل بكل ما رفضته، لأنها أصبحت ضعيفةً، فبدأت تقبل أن يتم تسميتها «معارضة» وتدعوا للحوار، ولعل التخاذلَ الدوليَّ أمام تصاعدِ إجرام النظام لعبَ دورهُ أيضاً.

لافتة رفعت في مدينة كفرنبل ٢٠١٣

«ثوار الخارج» استَبقوا الحلّ، ليبدؤوا بطلب التدخل العسكري، والدعوة إلى دولةٍ علمانية، وظلوا منهكينَ في محاصصةِ المناصب، في وقت كانت فيه الثورة في الداخل تعادي أمريكا، بشعاراتٍ إسلامية.

وبعد يأس الثوار في الداخل من تتالي الوعود، ومع تزايد جرائم النظام، بدأ الداخل يبحث عن فرصٍ بديلة، فطابَقَ خطابُهُ مع خطابِ ثوارِ الخارج، فتم خذلان كلا الطرفين من المجتمع الدولي، الذي ظلَّ رقيباً على جرائم النظام، بدون أن يقدم شيئاً سوى المزيد من المؤتمرات..

واليوم.. هل هناك جدوى؟

نعم التنسيق بين الداخل والخارج السوريين مطلوب، فمع الانتخابات الأخيرة التي طالت كل مكاتب الائتلاف ولجانه، جاء التركيزُ على سلسلة خطواتٍ هامة، هدفها إعادة الثقة بين الائتلاف ومن في الداخل، من خلال التركيز على التعامل مع المجالس المحلية، والإغاثة، والجانب الخدمي والصحي، إلى جانب إعادة هيكلة الأركان والقيادة العسكرية بتشكيل جيشٍ وطنيٍّ بقيادةٍ مشتركة، قادرٌ على قيادة المعارضة على الأرض.

الثورة لن يكتمل ربيعها الا بتعاون ومشاركة كل السوريين، لأنها نتاج معاناتهم، ونتاجُ خمسة عقودٍ من التغيب والاستبداد، من نظامٍ مارس مختلف أشكال التهميش والضلال في حق شعبٍ مكافحٍ خرج يطالب بالحرية ويغني للدولة المدنية الديمقراطية التي تكفل الحقوق وحرية الرأي.

هادي البحرة على بيدر حنطة

حاوره: ناجي الجرف

-إنّ أيّ جهدٍ في حلٍ سياسيٍّ اليوم في ظلّ الواقع على الأرض، سيكون في صالح النظام، وليس في صالح الثورة.
-الضعف الكبير في أداء الائتلاف يكمنُ في نظامهِ الأساسي.
-الشرعيةُ الوحيدة برأيي والتي أعتقد أنني أمتلكها؛ هي مدى التصاقي وسعيي وعملي لتحقيق أهداف الثورة.
-بالتأكيد عملنا الإعلامي ضعيفٌ وغير مرضٍ حالياً، لكن ذلك يعود لأسبابٍ عديدة منها ما هو مرتبطٍ بالميزانية المخصصة للعمل الإعلاميّ، ومنها بعض الضعف في اختيار الأسلوب الأمثل للخطاب المستخدم. لكننا ملتزمون بتصويب كامل العمل الإعلامي والرقيّ به.

١-ما نراه اليوم داخل الائتلاف الوطني ومؤسساته عبارةعن قوى سياسية تتصارع على سلطاتٍ وهمية، ما هي استراتيجيتكم للتعامل مع هذه الصراعات؟

الائتلاف الوطني أولاً هو ائتلافٌ بين قوى سياسية، ولكل واحدةٍ من هذه القوى توجّهٌ فكريٌّ معين وبرنامجٌ معين، فمن الطبيعي أن يكون هناك خلافاتٌ سياسية، وأن يكون هناك خلافٌ في السبل لتحقيق أهداف الثورة، ومن الطبيعي أن يكون لكل قوةٍ أو تيار برنامجُ عملٍ تحاولُ أن تسير به للوصول إلى نفس الأهداف التي نؤمن بها جميعاً. أي هناك دائما تلاقي في الأهداف وخلاف حول السبل المقترحة لتحقيقها. المشكلة هي القبول بالآليات؛ القوى السياسية تآلفت ضمن هذا الائتلاف، لذلك عليهم أن يؤمنوا بالعملية الديمقراطية نفسها، بالنتيجة كل قوةٍ تطرح رؤيتها وبرنامجها وتحاول تسويقها بين الأعضاء، ليتم التصويت عليها واستصدار قرار. عندما يُستصدر هذا القرار، المفروض أن يكون ملزِماً لجميع أعضاء الائتلاف، لأنه يمثل الغالبية العظمى في الائتلاف، وبالتالي يعملون لدعم هذا القرار وتطبيقه في الواقع.

خلال الانتخابات التي حصلت مؤخراً لاختيار هيئةٍ رئاسية وهيئة سياسية في الائتلاف، رأيت في هذه العملية حالةً من الرقيّ، ومنافسةً ديمقراطيةً وشديدةً في ذات الوقت بين الكتل، لم أرَ مشاجراتٍ أو مهاترات، رأيت أن الجميع قبِل بالعملية، والجميع أجرى مفاوضاتٍ مجهدة وشاقة، هناك أعضاءٌ لم تكن أسماؤها موجودة ضمن أية قائمة، لكنهم سعوا ووصلوا إلى مواقع مهمة ضمن مؤسسات الائتلاف، أرى أن هذه العملية تستحق الاحترام بكل جدارة، حتى التحالفات الرئيسية لم تتمكن من أخذ كل المناصب التي كانت تستهدفها، بل على العكس؛ كان هنالك خرقٌ في كتلها، وأتت كتلٌ أخرى وأخذت قسم من هذه المواقع.

الآن إذا أخذنا قيادة الائتلاف التي تتمثل في ٢٤ مقعداً موزعين بين الهيئة السياسية والهيئة الرئاسية، نرى أن خارطة التوزيع تشملُ كل الكتل في الائتلاف، وبالتالي هذه العملية أدت إلى فرزٍ سياسيٍّ جيد.

بالنسبة إلى الخلاف على قضايا مثل الحكومة، في أية دولة في العالم هذا الخلاف موجود، ومن الطبيعي يكون هنالك تقييمٌ لأداء الحكومة، هنالك من هو راضٍ عن هذا العمل وهنالك من هو غير راضٍ عن هذا الأداء.

القاعدة هنا أن نقبل بأن لدينا آلياتٍ ديمقراطية لكل هذه المواضيع، يتم اتخاذ قرارٍ بشأنها، هنالك هيئةٌ عامة تستجوب الحكومة وتعطيها فرصة أن تقدّم تقاريرها عن الفترة السابقة، وكل ما يتعلق بإنجازاتها والعوائق التي واجهتها، بعدها تستجوبها الهيئة العامة، ثم يتم التصويت، إما على بقاء هذه الحكومة، أو استبدال بعض وزرائها، أو اقالتها. بشكلٍ عام الآليات موجودة، كل ما هنالك أنه علينا تطبيقها بشكلٍ مؤسساتي وعقلاني.

٢-إلى أين وصلت عملية مأسسة الائتلاف، وما هي العلاقة بين الائتلاف والحكومة المؤقتة وبقية مؤسساته؟

أنجزنا الكثير من المراجعات لواقع الائتلاف وعمله خلال العام الماضي، يوجد واقعٌ معيَّن تعاطينا معه بعقلانية، وبدأنا بجهدٍ داخل الائتلاف، حيث تم تكليف لجنةٍ من الهيئة العامة، كُلفت هذه اللجنة بإعادة صياغة النظام الأساسي للائتلاف، كان رأينا أن الضعف الكبير والفجوة الكبيرة للائتلاف تقع في نظامه الأساسي، والنظام الأساسي بحد ذاته يعيق العمل وتحقيق أي شيء، ميزة هذه اللجنة أنها كانت تتزامن مع وجود هيئةٍ سياسيةٍ تمثل كل كتل وتيارات الائتلاف، تمت إعادة صياغة النظام الأساسي بدءً من إعادة تعريف دور الائتلاف،إلى تعريف الهيئة العامة ودورها، إلى الهيئة السياسية والهيئة الرئاسية.

بحيث يتم تنظيم كل هيئة، ما هو دورها، وما هي حدود صلاحياتها، وما هي سلطاتها، وما هي العلاقة الناظمة بين هذه الهيئات، ومن ثم تم إيجاد ثلاث مستوياتٍ من اللجان داخل الائتلاف من أعضاء الهيئة العامة، لجانٌ تُعنى بالأمور الداخلية للائتلاف وعلاقته القانونية مع الآخرين، والتي ضمت اللجنة القانونية، ولجنة الرقابة والشفافية المالية، ولجنة العضوية. ولجان أخرى مسؤولة عن متابعة عمل الحكومة، وأخيرا لجان للتواصل وحل مشاكل السوريين، مثل رعاية شؤون اللاجئين والعناية بشؤون المنشقين ولجان التواصل مع منظمات المجتمع المدني والنقابات المهنية والأحزاب السياسية.

بالنسبة لعلاقة الائتلاف مع الحكومة المؤقتة وبقية مؤسساته، يجب علينا أن نفهم أن هنالك مؤسسةٌ ومظلةٌ كبيرة اسمها الائتلاف، من هذه المظلة ولدت الحكومة المؤقتة، وكذلك الأركان، وكذلك وحدة تنسيق الدعم.

الحكومة المؤقتة هي الذراع التنفيذي الخدمي للائتلاف، وقد تمت صياغة العلاقة الناظمة بين الائتلاف والحكومة المؤقتة، وآلية تطبيق هذه العلاقة الناظمة.

٣-لماذا لا تتم الدعوة إلى مؤتمرٍ وطنيٍّ جامع، تنتج عنه قياداتٌ مُنتخبة، وممثِلة حقيقية للشعب السوري؟

من المؤكد أني لا أوافقك الرأي؛ لماذا؟! لأنه لا توجد حالياً أية طريقةٍ فعليةٍ وواقعية يمكننا أن نحقق بها انتخاباتٍ حرة ونزيهة، انتخابات تعكس فعلاً حالةً تمثيليةً حقيقيةً للشعب.

أنا لست منتخباً من الشعب السوري، والائتلاف ليس منتخباً من الشعب السوري، وكذلك ثوار الجيش الحر لم يوكلهم أحدٌ بحمل السلاح ومحاربة النظام، نحن في حالة ثورة؛ الشرعيةُ الوحيدة برأي والتي أعتقد أنني أمتلكها هي مدى التصاقي وسعيي وعملي لتحقيق أهداف الثورة، إذا حملت هذه الأهداف بأمانةٍ وسعيت إلى تحقيقها وأنجزت مهمتي فأنا شرعيّ، وحين أفشل في تحقيق هذه الأهداف أو سعيت في تحقيق شيءٍ يخالف هذه الأهداف فأنا غيرُ شرعيّ، هذه هي الشرعيةُ الوحيدة التي يمكن أن نستخدمها في هذه الحالة.

هنالك كتائب من الثوار والجيش الحر التي تقاتل النظام، وتقدم للمواطنين الحماية، وتتصرف في المناطق التي تحكمها بمنطقيةٍ وأخلاق، وهنالك

أيضاً مجموعاتٌ هم من أمراء الحروب، يحكمون مناطق ويسرقون وينهبون ويختطفون، هؤلاء هم من أخرجوا أنفسهم من إطار الشرعية، ومن إطار حقهم في حمل السلاح، الشرعية الوحيدة حالياً تؤخذ من خلال ما ننفذه ونسعى لتحقيقه.

٤-هنالك ضعفٌ واضحٌ في العمل الإعلامي الخاص بالائتلاف وتقديمه للثورة السورية للجمهور المحلي والدولي، ما هي خطتكم في العمل الإعلامي، وهل سنشهد تغييراً في أداء المكتب الإعلامي للائتلاف؟

بالتأكيد عملنا الإعلامي ضعيفٌ وغير مرضٍ حالياً، لكن ذلك يعود لأسبابٍ مرتبطةٍ بالميزانية المخصصة للعمل الإعلامي، والقدرات التي أعطيناها للعمل بالإضافة إلى إمكانيات التغيير.

ضمن خطتنا سيكون العمل الإعلامي أولويةً لأن هناك مطلبٌ من الجميع يحضّ على تغيير وضع المكتب الإعلامي، المكتب الإعلامي سيكون أكثر مهنيةً وأكثر انفتاحاً وترابطاً مع المكاتب الإعلامية الثورية الموجودة داخل سورية.

يتوجب على الائتلاف دعم المكاتب الإعلامية الموجودة داخل سورية بالدرجة الأولى، ومن ثم يجب فتح الباب للمنشقين عن النظام والعاملين في المجال الإعلامي، وذلك لعدة أسبابٍ منها؛ أنهم شخصياتٌ تتفهم طبيعة تفكير النظام وتفهم طريقة تفكيرنا كشعبٍ سوري، هذه الأسباب تعطيهم قيمةً مضافةً كبيرةً من خلال تفعيلهم والاستفادة منهم.

٥-هل تشتمل خطتكم في الأشهر الست المقبلة (فترة رئاستكم للائتلاف) التنظيم العسكري والسياسي في المعارضة السورية؟

الخطة أساسها تلازم المسارين السياسي والعسكري وتكاملهما، وهذا ما بدأنا العمل عليه.

نقوم بمراجعة الفترة الماضية في الثورة بشكلٍ كامل، سواءٌ على الصعيد العسكري أو على الصعيد السياسي، للوصول إلى لأخطاء التي كنا فعلياً مسؤولين عنها،والبحث عن طريقةٍ مناسبةٍ لتصويب هذه الأخطاء، وأهمها أن الثورة من بدايتها إلى مرحلةٍ قريبةٍ لم تكن تحمل استراتيجيةً واضحةً لعملها، وغياب الاستراتيجية أدى إلى تشتيت الجهود، وإلى السير في اتجاهٍ غير معروف، وغير واضح، في المرحلة الحالية نحن نعلم ما هي الأخطاء التي ارتكبت، وما هي الطريقة لإصلاحها، توجد لدينا استراتيجية، نحتاج أن نكون على علمٍ إلى أين نحن ذاهبون،وما هي النتائج التي نريد أن نصل إليها، خلال فترة الستة أشهر القادمة، الخطة أو الاستراتيجية لكي تكون واضحة يجب أن تكون في إطارٍ زمني، وبأعمالٍ قابلةٍ للقياس، ونضع الحلول الممكنة للمشاكل، مشكلتنا هي في إعادة تنظيم العملٍ العسكري، وإعادة تنظيم العملٍ السياسي، إعادة صياغة تعاطينا مع الوضع الدولي الإقليمي والوضع الدولي ككل، لا شك أننا نرى مواقف مختلفةٍ تجاه الثورة السورية، مواقف متناقضة، ومتغيرة، حتى ضمن الدول الداعمة للثورة السورية،

فالواقع الجديد والمفروض ظهور عامل الإرهاب والتنظيمات المتطرفة بشكلٍ أكبر، مما غطى للأسف على واقع الثورة السورية، لكن علينا أن نعود ونذكر الجميع أن لبَّ وجوهرَ القضية هي قضية شعبٍ ثار من أجل حقوقه الإنسانية، وحقوقه الدستورية التي سُلبت منه، وهدف الثورة هو تمكين هذا الشعب من أن يصل إلى مرحلةٍ آمنةٍ ويعيد صياغة دستوره بالشكل الذي يريده، وتمكينه من انتخاب قياداته، ومحاسبتها ان أخطأت أو إن لم تعكس إرادات شعبها، هذه هي الخطوط العامة لاستراتيجيتنا.

٦-كيف ستتعاملون مع تنظيم الدولة الاسلامية، وخاصةً بعد إعلانهم دولة الخلافة؟

إن أثر الدولة الإسلامية واضح، النظام لعب على هذه النقطة منذ بدايات الاحتجاجات في سورية، فقد أعلن بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ للإعلام أنه «لا يوجد ثورة في سورية، الذي يوجد هو تنظيمات إرهابيةٌ متشددة»!، النظام كذب الكذبة وعمل على تحقيقها على أرض الواقع، وقد نجح في ذلك.

أولاً نحن كسوريين نعد الدولة الإسلامية خطراً وطنياً أساسياً يوازي بقيمته خطر النظام.

ثانياً لا يمكن أن نقبل بالوضع الحالي، الثورة والثوار والجيش الحر بدؤوا بمحاربة الدولة الإسلامية منذ أوائل هذا العام.

٧-هل سيتعامل الائتلاف مع إيران في المرحلة المقبلة؟

المرحلة المقبلة عنوانها سورية، عنوانها نحن السوريين، أن نقوم بما ينبغي علينا قبل أي شيء، وبعدها يمكننا النظر إلى الآخرين لجعلهم ينظرون إلى مصالحنا الوطنية، هذا هو الأساس.

٨-هل هناك انفتاحٌ على بقية قوى المعارضة الموجودة خارج الائتلاف، مثل هيئة التنسيق وتيار بناء الدولة..؟

الائتلاف منفتحٌ على كل الأطراف المعارضة ذات البرامج الوطنية، والتي تمتلك مواقف وطنية متوافقة مع أهداف الثورة، مع كل من يريد أن يكون معنا بموضوعية، أولويتنا مصلحتنا الوطنية السورية.

٩-ما هو أفق الحل السياسي مع النظام؟

حالياً جميع آفاق الحل السياسي جامدة، علينا أن لانكون واهمين، الحل في النتيجة حلٌّ سياسي، لكن السؤال هو كيف أكون في الموقع الأقوى حين أصل إلى مرحلة حلٍّ سياسي؟، الموقع الذي أتمكن وأقدر به أن أحقق أهداف الثورة؟

علينا التفكير منذ هذه اللحظة إلى اللحظة التي تفرض وجود حل سياسي، بتحسين موقعنا التفاوضي عبر تحسين مواقعنا على الأرض، اما أي حل سياسي الأن في ظل الموازين على الأرض لا يمكن أن يكون في صالحنا، سيكون في صالح النظام، وليس في صالح الثورة في ظل هذه الأوضاع الراهنة، علينا التفكير ما هي المناخات المناسبة للضغط على النظام والضغط على المجتمع الدولي للسعي إلى حلٍّ سياسي يحقق أهدافنا التي دفعنا من دمنا غالياً في سبيل تحقيقها.

أهالي الغوطة الشرقية يستقبلون عيدهم الثالث

مكتب ريف دمشق- سمارة القوتلي

أهالي الغوطة الشرقية يستقبلون عيدهم الثالث تحت الحصار، والسيدة رحاب قلقة بشأن ابنتها آية المصابة بشلل دماغي. لم تكن السيدة رحاب من ريف دمشق لتتخيل نفسها يوماً وهي تعدّ خبز الشعير لأبنائها على دخان الحطب، ولم تتوقع أيضاً أن تنظر بحرقة وألم إليهم، وفي قلوبهم حماس لاقتراب وقت العيد، دون استطاعتها أن تؤمّن لهم أدنى متطلباتهم من حلوى أو لعبة صغيرة. رحاب الأم لثلاثة أولاد من مدينة دوما، ذاقت مع أطفالها ويلات الحصار بأكملها الذي تعرضت له غوطة دمشق الشرقية في الأيام الأخيرة، تسترجع ذكرياتها في البواكير الأولى للثورة السورية حيث كان منزلها مقراً رئيساً لنشطاء الثورة في المدينة. كان النشطاء في منزلها آنذاك يقومون بالتحضير والترتيب لأمور كثيرة وممتعة كما قالت، فمنهم من كان يكتب على القصاصات عبارات ضد السلطة، ومنهم من كتب على البوالين «يسقط الأسد» وقام برميها فوق رؤوس حواجز النظام، وكانت هي تعد لهم من أطيب الطعام والشراب وتحاول توفير الأمان لهم عبر مراقبتها للمنزل والشوارع خوفاً من المداهمات الفجائية، وساعدتهم بكل ما قد يلزمهم ليقوموا بنشاطاتهم المدنية وحتى العسكرية. خلال الأيام الأولى للثورة ماكان هناك من وقت راحة قبل أيام العيد في حياتها، إلاّ تلك الأوقات المستقطعة التي كانت تتفرغ فيها لعلاج طفلتها آية المصابة بشلل دماغي جزئي، واصطحابها لمركز العلاج الفيزيائيّ رغم الظروف الأمنية الصعبة المحيطة بأسرتها. ثلاث سنوات مضت على السيدة رحاب وهي مازالت تقوم بعملها ونشاطها ذاته لكن دون الاحتفال بالأعياد كما الأيام الماضية، وهي منذ سنة ونصف تقريباً توقفت عن متابعة علاج ابنتها آية وذلك بسبب الحصار المطبق على الغوطة الشرقية، وعدم استطاعتها الذهاب والعودة من دمشق وإليها لإيصال ابنتها إلى المراكز المختصة، وبالتالي لم تعد الأدوية اللازمة لابنتها في متناول يديها بسبب انقطاع الطريق، وهو ما جعل حالة آية الصحية تتراجع وتزداد سوءاً. ثياب مهترئة وأحذية مرقعة، إلى جانب ذلك تشكو السيدة رحاب اقتراب أيام عيد الفطر والذي بات لا يفصلها عنه سوى أيام قليلة. وتقول أنه العيد السادس الذي يمر على المدينة منذ بداية الأحداث في سورية، كما أنّه ثالث عيد يمر عليها وعلى أسرتها في ظلّ الحصار المطبق على الغوطة الشرقية التي بداخلها ما لا يقلّ عن مليوني نسمة. لم يتسنَ لـرحاب شراء ولا أية قطعة ملابس تنقص أطفالها هذا العيد، فضلاً عن أنها امتنعت في الأعياد السابقة التي مرت خلال الثورة عن الاحتفال مع أولادها في أيام العيد حداداً على أرواح الشهداء من جهة، وظنّاً منها أن الأزمة ستنتهي وأن الحل قريب. حتّى تقدّم بهم الزمن، فقابلوا أياماً عصيبة، واستقبلوا العيد بثياب مهترئة وأحذية مرقعة. بيد أنَّ ما يزيد حرقة قلبها هو رغبة أطفالها الشديدة في ركوب الأراجيح وألعاب العيد، التي إذا تواجدت زادت من آلامها أنها لا تمتلك مالاً يكفي لمثل هذه المتطلبات. فالغلاء في الأسعار جنونيّ، ولا سبيل للإسراف بأي أموال وفق ما تقول: «إذا ما وفرنا ودارينا حالنا ما منقدر ناكل»، لم يعد النشطاء يتواجدون في منزلها كما السابق، وذلك لأسباب عديدة، منها أنّها اضطرت لتغيير مكان منزلها الذي أصبح غير صالح للسكن بسبب علّوه، ذلك أنّ قذائف الهاون وغارات الطيران التي تنهال عليه ليلاً ونهاراً لا تجعلها وأطفالها في مأمن منهم. تقول رحاب متابعة سرد قصتها، خافية دمعتها: «أنّ أغلب نشطاء الثورة في مدينة دوما الذين كانوا يترددون إلى منزلها لم يعودوا هم أنفسهم الذين يترددون الآن. فقد قتل أكثرهم، واعتقل البعض الآخر، والبعض غادر البلاد لأسباب أمنية. فيما تخبرنا أنّ معظم من تبقى منهم في الغوطة الشرقية المحاصرة هم في تعداد المصابين والجرحى الذين لا يزالون ينتظرون العلاج المناسب على أمل انفتاح الطريق، وانتهاء الأزمة» .

حي في مدينة دوما

معاناة لا نهاية لها

مكتب اللاذقية-أحمد ناعسة

لمعاناة السوريين فصولاً كثيرة، فبعد ظلم النّظام من تهجير وتشبيح، إلى ظلْم وذلّ من قبل بعض مخيمات النّزوح في الأراضي السّورية المحرّرة، فهذه المخيمات أصبحت كابوساً لبعض النّازحين السّوريين، ومن ضمن هذه المخيّمات مخيّم تنسيقيّة اللاذقيّة في جبل التركمان، والذي يُعتبر من أسوأ المخيّمات من النّاحية الخدميّة المنطقة كما يقول أحد ساكني المخيّم.

عماد برني رجل مسّن، يبلغ من العمر خمسة وخمسون عاماً، يروي لأحد ناشطي السّاحل في مقابلة أجراها معه تفاصيل معاناته التي عاشها خلال فترة نزوحه في مخيم التّنسيقيّة، إذ كان مصيره «الاعتقال» من قبل إدارة مخيّم التّنسيقيّة بحجة التّشهير والافتراء بعد عرض مقابلته على مواقع التواصل الاجتماعيّ بعدّة أيام! وبعد بحثٍ مطوّل من قبل النّاشط الذي أجرى معه المقابلة، وعدة أطراف أخرى، وسؤال آدم حاج سليمان المسؤول عن المخيّم عن مكان تواجد الرّجل، أجاب آدم «سلّمته للمحكمة»، ويقصد هنا المحكمة الشّرعيّة في قرية بداما في ريف اللاذقيّة، ولكن عند ذهاب أحد أقربائه للسؤال عنه في المحكمة، كانت الصّدمة، إذ أنكرت المحكمة تواجده لديها: (ما عنا حدا بها الاسم).

ومن أبرز ما ذكره عماد خلال مقابلته، وهو يتكلّم بغصّة عن فساد إدارة المخيّم، حيث وصفهم بشبّيحة الثّورة، وذكر بعض القصص التي تحدث مع سكّان المخيّم، فيقول: «عند توجّه أحد أصدقائي لاستلام بعض المعونات، قال له أحد الأشخاص المسؤلين عن المخيّم : أنا عم طعميكم من تحت صرمايتي»، ويصف عماد إدارة المخيّم بأنّهم عبارة عن نسخة مصغّرة لنظام الأسد، وذلك بسبب الحصار الأمنيّ المفروض عليهم من قبل إدارة المخيّم، حيث يروي عماد قصّة إمراةٍ سألت أحد حرس المخيّم: «لماذا تراقبوننا وتتنصّتون علينا فنحن هربنا من ظلم النّظام وبطشه لنيل حرّيتنا» فأجابها: «نحنا لسا أفظع من بشار الاسد !»

ويضيف عماد أنّ الإساءات التي يتعرّضون لها دفعت بعدد من سكّان المخيّم إلى الرّحيل، ويقول: «عند إنشاء المخيّم كان عدد السكّان يتجاوزالـ٢٠٠٠ نسمة، ولكنّ العدد بدأ ينخفض تدريجاً بسبب ما يعيشونه من معاناة يوميّة، وظلمٍ، وقهرٍ، وجوعٍ، وأمراض. حيث أنّ إدارة المخيّم لا تقوم بتوزيع المعونات الإغاثيّة بالتّساوي بين سكّان المخيّم، بل تقوم بالتّمييز والمحسوبيّة، ومن يعترض يُعاقب بالحرمان من حصّته الغذائيّة». كلّ ذلك تسبّب بخروج عدد كبير من العائلات من المخيّم، إلى أن وصل عدد سكّان المخيّم لـ ٧٠٠ نسمة، وتحدّث عماد أيضاً عن أشخاصٍ فُقدوا، أو قُتلوا بسبب انتقادهم لإدارة المخيّم، حيث يتمّ تلفيق التّهم المُختلفة لهم. يُسارع النّاشط الذي أجرى معه اللّقاء لسؤاله: «ألا تخشى اكتشاف هويتك؟»، فيجيبه عماد: «قد تلّفق لي تهمة، إمّا بالعرض، أو السّرقة فأنا لا أستبعد أي شيء عنهم». وهنا يطلب عماد من النّاشط إخفاء صورته، وتغيير صوته كي لا يتمّ التعرّف عليه. وبالرّغم من ذلك، فقد تمّ اعتقاله بعد عدّة أيام من نشر المقابلة على مواقع التّواصل الاجتماعيّ.

والأمر الغريب أنّه بعد السّؤال عن مصير المدعو عماد برني، تبيّن أنّه قد تمّ احتجازه في مخيّم التّنسيقيّة بتاريخ ١٦-٧-٢٠١٤، ومن ثمّ تمّ تسليمه في نفس اليوم للمحكمة الشّرعيّة لـ«بداما». ويقول النّاشط الذي أجرى المقابلة مع عماد: «عندما وردني خبر اعتقال عماد، سارعت للسؤال عن سبب الاعتقال، ليتبيّن أنّ السّبب هو إفادته التي قدمها أمام الكاميرا، وأقواله وانتقاداته لمخيّم التّنسيقيّة، وما يحصل داخله من سوء معاملة». وعلم النّاشط أيضاً بأنّ إدارة المخيّم قد رفعت دعوى ضدّ المدعو عماد بتهمة التّشهير والافتراء، كما رفعت دعوى ثانية ضدّ النّاشط تحوي التّهم ذاتها. وذكر النّاشط أنّ زميلة له حاولت تصوير المخيّم من الخارج، فتعرّض لها أحد حرّاس المخيّم، وحاول مصادرة كاميرتها. ويضيف النّاشط: «بأنّ مدير المخيّم يمنع منعاً باتّاً التّصوير داخل المخيم وخارجه، بحجة أنّ التّصوير يحدّد موقع المخيّم ممّا يُمهّد لقصفه»، مع العلم أنّ التّصوير متاحٌ في باقي المخيّمات المجاورة، ولم تتعرّض للقصف، على حدّ قوله.

أما السؤال هنا:

كيف يحق لمجموعة اعتقال شخص تريد ان ترفع دعوى عليه؟ وأين الكتائب المسؤولة عن حماية المدنيين من هذا التصرف؟ وماذا سيكون مصير المدعو عماد برني وهو ذكر في مقابلته بأنه كان هناك أناس معارضين لإدارة المخيم تم تلفيق تهم لهم وطردهم من المخيم؟ فهل سيكون مصير عماد مثل سابقيه؟ أم ستأخذ العدالة مجراها؟ وكيف يحق لمجموعة اعتقال أي شخص بهذا الأسلوب دون أن يحرك أحد ساكناً؟

عماد برني

مطار حماة العسكريّ، بركان اللّهب لمنطقة الشّمال المحرّر

لماذا إلى الآن ؟؟

حسن ممس

صورة فضائية لمطار حماة العسكري

يعاني سكّان الشّمال السّوريّ الأمرّين من مطار حماة العسكريّ بسبب الرّعب والخوف الذي يسبّبهما، ففيه المعتقلات التي يساق إليها المئات من المواطنين السّوريين، وفيه يُذّل المواطنون وتُهان كرامتهم نتيجة للظّلم والتّعذيب داخل سجون هذا المطار التي تتخفّى تحت الأرض- وسوف يتمّ التّوضيح لاحقاً عن هذا الأمر- ومنه أيضا تقلع الطّائرات المروحيّة والحربيّة التي يطال شرّها أقصى بقاع سورية، وهو مقرّ لآلات القتل التي تقصف المدن المحيطة يوميّاً، وفيه من قذائف مدفعيّة وعنقوديّة وفراغيّة وغيرها من المواد شديدة الإنفجار، بالإضافة إلى معسكرات تدريب ووسائط نقل ضخمة ومتنوّعة، كما ويعتبر مركزاً رئيساً لإنطلاق الأرتال العسكريّة التي غالباً ماتكون وجهتها الرّيف الشّماليّ.

يتوضّع هذا المطار في الجهة الغربية من مدينة حماه، محاذياً لكلّ أحيائها الغربية. تقع بوابة المطار الرئيسة من الجهة الشمالية، لكن قبل الوصول إلى تلك البوابة، يجب المرور بمدخل المنطقة العسكرية هناك، التي تضم فرع المخابرات الجوية إضافة إلى المطار، ويقع هذا المدخل قرب مسجد بلال الحبشي في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، حيث يكثر الضغط الأمني والحواجز الرملية والأسمنتية بحيث يكون الدخول إلى تلك المنطقة أمراً مستحيلاً لغير شبيحة المطار.

وعلى ما يبدو، فّهو أبو غريب السوري. فهل يصمت العالم على هذه الجرائم بحق الإنسانية؟

أصدر المرصد السوري لحقوق الإنسان تقريراً أن مطار حماة العسكري في وسط سورية تحول إلى سجن يمارس فيه أبشع أنواع التعذيب و القتل بحق آلاف المعتقلين الذين تكتظ بهم أبنية المطار منذ أشهر، وقال المرصد في التقرير، إن المطار تحول إلى معتقل لصالح جهاز المخابرات الجوية، حيث يحتجز فيه الآلاف من أبناء محافظة حماة، وتمارس عليهم أقسى أنواع التعذيب والقتل الوحشي دون رادع أخلاقي أو تأنيب ضمير. وبيّن أن السلطات السورية تقوم منذ منتصف شهر آذار من عام ٢٠١١ بحملات اعتقال تطول كل من هو في محل شك، أو كان ضحية تقرير من المخبرين دون التأكد من صحة التقرير حتّى.

وأضاف أنه نتيجة لذلك فقد امتلأت السجون، حتّى بدأت السلطات في استخدام الكثير من المرافق العامة كسجون، مثل ملاعب كرة القدم أو المدارس أو بعض المراكز الحكومية والعسكرية، ومنها مطار حماة.

وقال المرصد أنه استند في تقريره على زهاء ٧٠٠ حالة تم توثيقها في المعتقل، مشيرًا إلى أن عددًا كبيرًا من المعتقلين قضوا تحت التعذيب، وأن جثث البعض من هؤلاء بقيت أيامًا بين المعتقلين قبل أن يتم إخراجها.

و نقل التقرير عن ناشط أمضى فترة اعتقال في مطار حماة، أنه يتم تكديس السجناء في ملاجئ الطائرات ليصل عددهم أحيانًا في الملجأ الواحد إلى أكثر من ٥٠٠ سجين. وأضاف النّاشط : « يمكن للمرء أن يتخيل كيف يكون الوضع في فصل الصيف عندما تتخطى درجات الحرارة الـ ٥٠ درجة مئوية، وهو ما أدّى إلى وفاة الكثيرين».

و قال ناشطون كانوا معتقلين في المطار للمرصد، إنّ كل أنواع التعذيب المعروفة تمارس، كاستخدام التيار الكهربائي لصعق المعتقلين، إلى إذلالهم جنسيًا و تعريتهم، وضربهم بقسوة وجلدهم و سوء تغذيتهم ،وإطلاق كل أسماء الحيوانات عليهم، إضافة إلى ابتزاز ذويهم بالمال.

وفيما يلي نص التقرير الذي حصلت شبكة المرصد الإخبارية على نسخة منه:

بعد انطلاق الثورة السورية في آذار من العام المنصرم، بدأت السلطات السورية، إلى جانب قتل المتظاهرين، حملة إعتقالات محمومة طالت كل من هبّ ودبّ، فكلّ من كان محل شك تم اعتقاله، وكلّ من كُتب به تقرير من الوشاة والمخبرين تمت مطاردته، دون حتّى أن يتم التأكد من صحة الوشاية، أوالتقرير، حتى امتلأت السجون واكتظت بساكنيها، فبدأت السلطات باستعمال الكثير من المرافق العامة كسجون، مثل ملاعب كرة القدم، أو المدارس، أو بعض المراكز الحكومية، والعسكرية. وأحد تلك الاماكن هو مطار حماة العسكري، الذي تحول إلى سجن ومعتقل لصالح جهاز المخابرات الجوية، أحد أقسى الفروع الأمنية، وأكثرها بطشاً وتنكيلاً بالمعتقلين، حيث يحتجز به الألاف من أبناء محافظة حماة، كباراً وصغاراً، وتمارس عليهم أقسى أنواع التعذيب والقتل الوحشيّ دون رادع أخلاقيّ، أو تأنيب ضمير، ودون محاسبة، أو سؤال من أحد، كونه لا وجود لسجلّات رسميّة للمعتقلين، والمكان نفسه ليس بمعتقل رسميّ يمكن محاسبة مسؤوليه (إن وجد من يحاسب!!)، والسّؤال عن قاطنيه .

اللاسلكي حل تواصل بديل (القبضة كما يسميها السوريين)

مكتب ادلب-محمد حاج قدور

في ظل ظروف الحرب التي تعيشها سورية وانقطاع الكثير من الخدمات وأهمها الاتصالات في الكثير من المناطق المحررة

كان لابد من وجود حل بديل للتواصل بين الأشخاص.

عانى الناس كثيرا قبل توفير هذا الاختراع بين أيديهم، حيث كان حكراً على ضباط الجيش الحر وقادة الفصائل المسلحة لعدة أسباب منها عدم توفره في الأسواق بالإضافة إلى سعره المرتفع جدا وعدم معرفة الناس به بشكل جيد.

قبضة لاسلكية يستخدمها مواطن صحفي في تغطيته - بنش

وفّر جهاز الاتصال اللاسلكي الكثير من الخدمات والفوائد بعد توفره حيث يتعبر رحمة للناس في المناطق المحررة في ظل الظروف الحالية، عبر الكثير من الناس عن عدم مقدرتهم على إحصاء فوائد جهاز اللاسلكي أو مايسموه (القبضة) بسبب أنها تمسك بقبضة اليد وتأخذ شكلها.

حيث قال لنا أحمد وهو سائق سيارة إسعاف: أتلقى الكثير من طلبات الإسعاف عبر التردد العام وأذهب بسيارتي لإسعاف المصابين والجرحى وأعرف موقع القصف من خلال القبضة اللاسلكية، كما يمكن أن يتم طلبي للذهاب إلى المدن والقرى المجاورة عند حدوث مجزرة أو قصف بالبراميل وأطلب سيارات الإسعاف من المشافي المحيطة عند حدوث أي شيء في مدينتنا أيضاً، باختصار يتم تنسيق كل الأمور الطبية في المنطقة من خلال هذا الإختراع الصغير.

بينما قال عباس وهو قائد مدفع ٢٣: أتواصل مع زملائي لتحديد موقع الطيران الحربي ورشه عبر مضاداتنا لمنعه من الانقضاض على مدينتنا، كما نستعمله في المعارك لأغراض عسكرية ونستعمله في المدن لتأمين مداخل المدن و إلقاء القبض على أي سيارة مشكوك فيها .

وقال أبو البراء وهو قائد الكتيبة الأمنية في الهيئة الإسلامية لإدارة المناطق المحررة: نستعمل القبضة للتواصل فيما بين العناصر لإلقاء القبض على المجرمين وقطاع الطرق والمطلوبين في القضايا الجنائية والتنسيق بين الدوريات التي تشرف على تأمين مدينتنا..

بينما قال عبد الرحمن وهو صاحب محل سمانة: أستعمل القبضة اللاسلكية في أغلب الأحيان على التردد العام حيث أنّ هذا التردد يعتبر بمثابة راديو الثورة بالنسبة لي، فهو يتيح لي العديد من الخدمات حيث أتواصل مع عائلتي بدون أي تكلفة عبر تردد خاص وأتواصل مع كل الناس ممن لديهم لاسلكي في بلدتي ومحيطها ومعرفة كل تحركات الطيران الحربي من لحظة خروجه من مطاره وحتى وصوله، أو حتى ذهابه وقصفه مناطق أخرى، حيث أعلم جيراني ونستنفر للذهاب إلى أقرب ملجأ، كما يذاع عبر التردد العام اسم أي شهيد أو متوفى بالإضافة لبعض الأمور المدنية مثل وصول دفعة من جرار الغاز إلى المدينة وأعلم متى يأتي دور منزلي في استلام الغاز، كما يتم التعميم عن وصول سيارة مساعدات وأعرف حالة الطرق بشكل عام مفتوحة أو مغلقة، كما وأعرف أخبار المعارك، وأتابع انتصارات ثوارنا لحظة بلحظة، والكثير من الفوائد بكل تأكيد لن استطيع تذكرها جميعا.

وروى لنا ياسر وهو شاب يعمل في الزراعة: كنت أسير بدراجتي النارية في إحدى الطرق خارج مدينتنا مساءً وخرجت عن الطريق واصطدمت بحجر وأصبت بكسر في رجلي بسبب عدم قدرتي على تشغيل الإضاءة بسبب تواجد الطيران الحربي الليلي وكانت معي قبضتي اللاسلكية فقمت بالنداء عبر التردد العام ودعوة أي احد يسمعني لإسعافي، وفعلاً ماهي إلا دقيقة حتى جاء أحدهم وقام بإسعافي إلى المشفى بسيارته.

الجميع تجمعهم فائدة مشتركة ورئيسية هي أنهم يعرفون ويتابعون موقع الطيران الحربي والقصف عبر القبضة اللاسلكية وكان هذا شيء مهم وكافي لهم لشراء القبضة اللاسلكية بالإضافة للخدمات الثانوية التي يوظفونها من أجلها كل حسب حاجته.

أما عن آلية عمل القبضة اللاسلكية: فتحتوي على ستة عشر تردد من التردد ١ – ١٥ تردد مضبوطة بشكل مسبق.

التردد السادس عشر هو تردد عام مشترك بين جميع أنواع أجهزة اللاسلكي وهو من أكثر الترددات استعمالاً لدى الناس في سورية حيث يسهل عليهم التواصل فيما بينهم.

تستطيع القبضة التواصل مع المحيط الموجودة فيه على بعد كيلومتر في حال عدم ربطها بمحطة، وفي حال ربط أي جهاز لاسلكي بأي محطة لاسلكية فبإمكان أي شخص أن يتواصل مع محيطه على بعد ٥٠ كيلومتر ولايمتلك مثل هذه المحطات سوى التنظيمات المسلحة بسبب غلاء سعرها.

ويستمر الشعب السوري في البحث عن بدائل لأية مشكلة تواجههم، ويثبت للعالم يوماً بعد يوم أنه شعب جبّار يصنع المعجزات في سبيل حريته وكرامته.

سيف حلب لأهل الشّام، مبادرة مدنيّة ذات أهداف عسكريّة

عماد حسّو

لم تعد الأجزاء المُحرّرة في حلب كما كانت قبل شهورعدة حيث الحراك الثوري وإكتظاظها بالمدنيين، بالإضافة إلى استقرار الجبهات وتقدم الحرّ في الكثير منها. اليوم واقع مأساويّ هو ما تمرّ به الثّورة السّورية في حلب...التخبّط هو ما تعيشه الفصائل المسلّحة على جبهات القتال، و التشتت والضياع وعدم وجود قيادة موحدة هي ما يعيشه الثوار عموماً في حلب.

تحت هذا الواقع السيء الذي يقود الفصائل العسكرية بإتجاه التراجع على الجبهات، وتقدم النظام بغية تضييق الخناق على الأحياء المحرّرة وحصارها، الأمر الذي يؤدي إلى القضاء على الثورة فيها، بعد أن كانت حاضنة الثوار ووجهتهم. خلال كلّ ذلك، ونتيجة له قام مجموعة من النّاشطين في المدينة مع بداية شهر تموز الفائت بالإعلان عن مبادرة مدنية أطلقوا عليها مبادرة (سيف حلب لأهل الشام).

تأتي مبادرة سيف حلب في وقت أصبح التنسيق والتعاون بين القطاع المدني والقطاع العسكري ضعيفاً، إن لم يكن معدوماً. الأمر الذي أدّى إلى انعدام الثقة بين القوى الثورية العاملة في مدينة حلب بشقيها المدني والعسكري؛ ممّا انعكس بشكل سلبي على جبهات القتال، إذا فهي مبادرة مدنية ذات أهداف عسكرية، حددت إطار عملها ضمن شقين، الأول: تنظيمي حيث يقوم أعضاءالمبادرة بدور المنسق بين جميع الفصائل العسكرية فيما بينها، أو بعلاقتها مع التجمعات والهيئات المدنية. أما الشق الثاني: فهو عملي حيث يقوم أعضاء المبادرة بالعمل على توفير جميع المتطلبات اللوجستية على جبهات القتال، بالإضافة إلى الفعاليات المدنية الثورية.

إن تشكيل بما يشبه غرفة عمليات بهدف الربط والتنسيق بين جميع الفصائل العسكرية والقطاعات المدنية، هي ما تعمل عليه المبادرة كهدف أولي, كذالك بناء جسور التواصل بين كل القطاعات الثورية، والعمل على تقديم العون فيما بينهم، والوصول إلى صيغة تفاهم تذيب جليد كل ما بينها من خلافات بغية تحقيق هدفها الواحد. فلقد سُخّرت جميع القطاعات الطبية، والإغاثية والإعلامية في خدمة العمل العسكري على الجبهات. وعن ذالك يخبرنا الإعلامي شامل الأحمد قائلا: «إنّ ما نقوم به من دور تنظيمي

مدينة حلب ٢٠١٤

يشتمل على كل القطاعات في المدينة، فعلى سبيل المثال عندما تعاني جبهة من جبهات حلب من نقص بعدد المرابطين فيها يتم التواصل معنا، ونحن بدورنا نتواصل مع فصائل عسكرية لسد هذا النقص. كذلك الأمر، فقد أثمر التنسيق بين القطاعات الطبية في المدينة، وبين جبهات القتال، بإنشاء أربع نقاط طبية متوزعة على جبهات حلب، ومجهزة بوسائل وكودار الإسعاف الأولي، أما على الصعيد الإغاثي فـ (١٠٠٠) وجبة غذائية تجهز يومياً من قبل المنظمات الإغاثية وتوزع من خلالنا على المرابطين في الجبهات.

بشكل موازي لدور المنسق بين مختلف الفصائل العسكرية والقطاعات المدنية، هناك عمل دؤووب على الأرض يقوم به أعضاء المبادرةعلى الصعيدين العسكري والمدني. جبهات القتال وخطوط الإسناد هي وجهتهم على الصعيد العسكري. فتخفيف الأعباء عن الثوار المرابطين على جبهات القتال هو أحد الأهداف التي عملوا عليها، فكانت عمليات حفر الآبار في الجبهات، وتعبئة أكياس الرمل بغية إستخدامها كسواتر (دشم)، وتجهيز الحفر الفردية للمرابطين. كذلك رفع السواتر الترابية على الطرق الخطرة بغية حماية المارة من القناصات. إضافة إلى شق الطرق العسكرية، والمدنيةن وكذالك نقل الذخيرة بحسب توجيهات القيادات في الفصائل العسكرية.

أبو محسن هو احد أعضاء المبادرة المسؤولين عن ذلك، يحدثنا عن بعض إنجازات المبادرة قائلاً: «الجبهة الشمالية الشرقية هي الخاصرة الضعيفة من حلب في الوقت الحالي، ومنها سيعمل النظام على حصار حلب. لذلك عملنا على تحصين طريق عسكري بالقرب من دوار البريج، وفتح طرقات عسكرية ومدنية في مخيم حندرات بالتعاون مع حركة أحرار الشام، ورفع ساتر عسكري في منطقة مشفى الكندي ومدرسة المشاة بالتعاون مع لواء التوحيد، بالإضافة لتعبئة المئات من أكياس الرمل بغية (التدشيم)هناك. أما على الجبهات الأخرى، فحفر بئرٍ بالمشاركة مع حركة حزم في الشيخ سعيد يخدم جبهتها، وجبهة عزيزة. ورفع ساتر ترابي في جبهة الراموسة بالتعاون مع جيش المجاهدين هي من المهمام التي قمنا بها». ويكمل أبو محسن قائلاً: «هذه هي بعض المنجزات على الأرض بالتعاون مع مختلف الفصائل العسكرية، حماية حلب المحررة من شبح الحصار هو هدفنا وفي سبيل ذالك سنستمر في عملنا هذا».

أمّا على الصعيد المدني، فقد عمل أعضاء المبادرة على إحياء الحراك الثوري في المدينة من خلال الاعتصامات والمظاهرات التي قاموا بها في العديد من أحياء حلب المحررة (بستان القصر- صلاح الدين – المشهد - الفردوس)، وذلك بغية إعادة روح الثورة لأبناء المدينة الواقعة تحت براميل الموت المتفجرة، والرفع من معنوياتهم وتعزيز إصرارهم على الإستمرار في طريق الثورة حتى تحقيق النصر. لم يقتصر الحراك المدني على المظاهرات والاعتصامات، بل تعدّاها ليشمل العروض المسرحية أيضاً.

إذا مبادرة سيف حلب لأهل الشام كما يراها أصحابها، هي الصدمة الكهربائية التي ستعيد دقّات القلب للمريض المحتضر, وهي مبادرة تعمل على التعبئة العامة والإستنفار لدى جميع الفصائل العسكرية والهيئات المدنية بغية إنقاذ حلب المحرّرة من الحصار الذي أصبح يلوح في الأفق, شباب ثوريّ رؤوا حلمهم يضيع ومدينتهم المحررة التي قدمت آلاف الشهداء تنهار تحت ضربات المستبد، فهبوا يداً واحدة لإعادة ترتيب الأوراق ورصّ الصفوف بين المدنيين والعسكريين، وبين العسكريين أنفسهم، بغية الوصول إلى حالة من التنسيق والتوحد على مستوى العمل، وبالتالي الدفاع عن الأحياء المحررة والعمل على تحرير ما تبقى من المدينة.

«الحاجة أم الضّرورة» شعار مدينة عفرين،لخلق بدائل

بوشكين محمد علي

عمد النّظام السّوريّ منذُ بداية الثّورة السّوريّة على معاقبة الشّعب بشتّى الطّرق والوسائل، من قتلٍ وتهجيرٍ وتعذيبٍ واعتقال. وأيضاً قطع الخدمات اليوميّة عن المواطن السّوريّ على الخارطة السّورية كاملةً، شمالاً وجنوباً، غرباً وشرقاً، ومحا النّظام كيان «الحكومة» وعملها المدنيّ في خدمة المواطنين على لائحة العقوبات على الثّائرين ضدّه.

ربّما لم تتعرّض المناطق الكردية في سورية، كما باقي المدن السّورية، إلى الدّمار والخرابْ، إلاّ أنّها تلّقت عقوبات حجب الخدمات، وقطع الحاجات اليوميّة عن المدن والقرى والأرياف، ممّا أدّى إلى صعوبات كبيرة في الحياة اليوميّة والمعيشيّة، ممّا أدّى إلى حالات الهجرة، وارتفاع نسب البطالة، وضعف المدن خدميّاً.

مدينة عفرين ذات الغالبيّة الكرديّة، شمال محافظة حلب، والتي يُسيطر عليها حزب الاتحاد الدّيمقراطيّ (pyd)، وممثّله العسكريّ (وحدات الحماية الشّعبيّة ypg)، والمتاخمة لمناطقَ يُسيطر عليها الجيش الحرّ، تعرّضت كباقي مدن الرّيف الحلبيّ الشّمالي إلى انقطاع الخدمات من الكهرباء، والماء، وشبكات الاتصال والإنترنت، وعانى أهل المدينة الكثير من المتاعب واستخدام أساليب بدائية لقضاء حاجيّاتهم.

ولكنّ رنين شعار «الحاجّة أمّ الضّرورة» اقتحم مدينة عفرين، وأصبح الجميع يبحث عن بدائل وحلولٍ لتعويض ما انقطع عنهم. ففي البداية نبدأ بالكهرباء، كانت الكهرباء منقطعةً عن مدينة عفرين لأكثر من ٨ شهور متواصلة. في البداية اعتمد المواطنون على المولّدات الكهربائيّة الصّغيرة ذات التّكلفة العاليّة، وفيما بعد، وفي الآونة الأخيرة قام العديد من تجّار المدينة بجلب مولّدات كبيرة قادرة على توليد الكهرباء لمناطق واسعة من المدينة، مقابل يبلغ «٥٠٠» ليرة سورية أسبوعيّاً للأمبير الواحد.

يقول «خليل رشيد» أحد مُستثمري المولّدات: «أنّه قام بجلب هذه المولّدة لخدمة المواطنين ولتحقيق أرباحٍ شخصيّة أيضاً. ويقوم حزب الـ pyd بفرض رسوم وضرائب علينا أيضاً». ولكنّ هذا البديل، وعلى الرّغم من مفعوله الكبير،

خط التوتر العالي عفرين

وفائدته للسّكان، إلاّ أنّه لم يكن متوفّراً لجميع السّكّان في المدينة – بالإضافة إلى سكّان عفرين، هناك ٣٦٦ قرية عفرينيّة- وذلك بسبب وجود عائلات فقيرة جدّاً غير قادرة على دفع هذا المبلغ. ولكن هذه التجربة هي المثال الحيّ على إصرار المواطن السّوري على الاستمرار، والبحث عن الحلول.

أمّا بالنّسبة للمياه في المدينة، فانقطاعها كان متعلّقاً بانقطاع الكهرباء، وذلك بسبب اعتماد المنطقة على سدّ ميدانكي الذي يضخّ المياه عن طريق الكهرباء. فكان المواطنون يقومون بجلب صهاريج مياه لسدّ احتياجاتهم، بتكلفة مرتفعة جدّاً، هذا عدا عن تلّوث هذه المياه، وكلسيتها، وعدم صلاحيتها كمياهٍ للشرب. فيما بعد، تبنّت شركة خاصّة توليد سدّ ميدانكي، وضخّ المياه على المنازل في المدينة والقرى مقابل مبلغ شهري يبلغ ١٥٠٠ ليرة سورية، على أن تأتي المياه يومين في الأسبوع. وأيضاً يقوم الـ pyd بفرض ضرائب على هذه الشركة.

ومن جانب اخر يقول المواطن محمود بكر«أنّ هذا المبلغ مرتفع جدّاً، وأنّ التّقنيّة في العمل ليست على المستوى المطلوب والمصرّح عنه، وأنّ المياه لا تأتي في مواعيدها». ولكنّها في الوقت الحاليّ تُشكّل بديلاً مناسباً للمواطن مقارنةً بهذه الظروف والأوضاع.

بالنسبة لشبكات الاتصالات، فقد كانت مقطوعة، وتمّ توليد بريد عفرين بالكهرباء، وتعمل شبكات الاتصال من حين لأخر. بالنسبة لشبكات الانترنت كانت قد توقّفت عن العمل منذ فترةٍ بعيدة، إلاّ أنّ بعض سكان عفرين قاموا بوضع أبراج داخل المدينة تجذب البثّ من تركيا، ويتمّ توزيعها على المنازل في المدينة. عثمان شيخ محمد صاحب محلّ صيانة لشبكات الإنترنت، يتحدث عن أنّ هكذا خدمة هي لصالح المواطن، وتحدث أيضاً عن وجود مشاكل تقنية في هذه الفترة وسيتمّ إصلاحها عمّا قريب.

هكذا عاقب النّظام المواطن، وهكذا وجد المواطن حلولاً وبدائل، رغم ضعف هذه الحلول وعدم تغطيتها للمنطقة بشكل كامل، إلاّ أنّها تبقى تجربة جيدّة خلقت واقعاً أفضل ممّا كانت عليه، ويبقى أمل المواطن في عفرين كباقي المواطنين السوريين بعودة حياتهم الطبيعيّة، متفائلين بمستقبل أفضل يليق بتطلعاتهم.

أغرب لصوص التّاريخ

وائل زيدان

يحدث في التّاريخ أن يُقدِم ملكٌ من الملوك، أو أحدُ الفراعنة، على تسجيل اسمه بعناية فوقَ صَرْحٍ حَجريٍّ ضخم قام سَلَفُهُ بتشييدهِ. أو يزعم لنفسهِ الانتصار في حربٍ جَرَت قبل ولادتهِ، مسكوناً بهاجسِ المجد والشّهرة والخلود. ثمّ تنطلي الحيلةُ على الأجيال اللّاحقة، حتّى يتقدّم عِلم التاريخ ليتكبّد علماء الآثار جهوداً مُضنية بالحفريات لكشف هذا التّزوير.

ونقرأ في التّاريخ أيضاً، عن ثورات عظيمة سُرِقَت ونَسَبَها أفرادٌ طارئون لأنفسم، وليس بعيداً إن صَحّ التّشبيه تتويج نابليون لنفسهِ امبراطوراً على الشّعب الفرنسيّ بعد ثورة طاحنة كلّفت من الدّماء والأرواح ما كلّفت. أي أنّ الملكيّة التي انتفض الفرنسيون ضدّها، عادت واستلمت السّلطة باسم الثّورة!.

في كلّ دول الرّبيع العربيّ، كان هاجسُ سرقةِ الثّورة من قبل بعض القوى هنا وهناك أمراً حاضراً على الدوام، وهو مطروحٌ في الحالة السّورية بشكل أكبر، لكن أن يكون بشّار الأسد طرفاً من الأطراف التي تتزاحم على جني ثمار الثّورة وسرقتها لهو أمرٌ مُستغرب، لأنّنا في هذه الحالة سنكون أمام أوّل ديكتاتور ينسب لنفسه القيامَ بثورة قامت ضدّه، ويعمل في ذات الوقت على سحقها والقضاء عليها بكافة الأساليب الوحشيّة!.

يعلم بشّار الأسد منذ البداية مدى التّأثير السّحريّ الواسع لكلمة «ثورة»، سواء في الأدب أو في وجدان الشّعوب، لذلك لم يجرؤ أبداً على مهاجمة هذه الكلمة السّحرية في أيّ خطابٍ أو حوارٍ له. ودعونا لا ننسَ أنّه ممّن يعتبرون أنفسهم سليلي أسرة يحفل تاريخها بالثّورات، كما تجهد وسائل إعلامه على تذكير النّاس بهِ طيلة سنوات الحكم، من ثورة الثّامن من آذار إلى الحركة التّصحيحيّة المجيدة.

ففي أوّل خطابٍ له من داخل مجلس الشّعب بعد الثّورة، لم يهاجم كلمة ثورة، ولم يجنَحْ إلى تفكيك المصطلح كعادتهِ حين يُلقي خطاباً، لكنّه نفى صِفة الثّورية عن الأحداث كمقدّمة أولى، وحتّى يُطَمْئِن جمهورَهُ المذعورمن انتشارها الغير مسبوق سيقول: «اليوم هناك صرعة جديدة هي ثورات بالنّسبة لهم، ونحن لا نُسمّيها كذلك...هي حالة شعبيّة بمعظمها..»، وطبعاً سيكون مُصطَلح «الحالة الشّعبية» الذي أطلقهُ لهم سيادتهُ هو جسر عبور لكلمة «إصلاح» التي سيستفيض ويُسهِب بشرحها وتكرارها لمساعدتهم بالابتعاد عن كلمة «ثورة» وسحبها من التّداول اليوميّ «إذا كان هناك فعلاً دعاة للإصلاح وكلّنا أعتقد دعاة للإصلاح، فسنسير مَعَهم من دون أن نعرف ما الذي يجري». إنّ رعبهُ من قيام ثورة ليس هو قائدها، كان واضحاً في تلك العبارة. ليصل بجمهورهِ في النّهاية إلى أنّ ما يحصل هو فِتنة، ولا يخفَى على أحدٍ المدلول الديني لكلمة فتنة «وأد الفتنة واجب وطنيّ وأخلاقيّ وشرعيّ».

سيكون الخطاب الذي أدلى بهِ على مدرّج الجامعة ٢٠١٢-٠١-١٠ هو أوّل خطابٍ يحمل إشاراتٍ تدلّ على نيّتهِ بالسّطو على كلمةِ ثورة، إذ يقول فيه: «لقد بحثوا في البدايةعن الثّورة المنشودة، فكانت ثورتكم ضدّهم وضدّ مُخرّبيهم وأدواتهم، وهبَّ الشّعب منذ الأيام الأولى قاطعاً الطريق عليهم وعلى أزلامهم»، هنا ظهرت أولى محاولاته لمحو التّاريخ كما سنكتشف لاحقاً، وذلك بإطلاق صفة ثوّار على أزلامهِ ومؤيّديه، إذ أنّ سحب كلمة ثورة من التّداول أمرٌ مستحيل، وطبعاً هذهِ تقتضي شرحاً لأنّها صادمة بالنسبة لجمهورهِ الذي لم يهبّ منذ البداية إلاّ لضرب المتظاهرين وإخماد الثّورة!، وجهّزوا أنفسهم للنّيل من الذين ينطقون بتلك الكلمة في الشّارع، حتّى أنهم بدأوا يُسمّونها «فَورة» على صفحاتهم، لذلك هو لم يبخل عليهم بالشّرح في كيفيّة أن يكونوا شبّيحة وثوّاراً في آن معاً، فيقول: «عندما ننتقل من الاستقلال الأول وهوالتّحرير الأول الذي حَصَلَ عندما جلا المستعمر عن أراضيها.. ننتقل إلى الاستقلال الثّاني وهو استقلال الإرادة»، إذن، هم عندما يواجهون المظاهرات بالعصيّ، والاعتقال، والرّصاص الحيّ، فإنّهم يقومون بثورة لطرد المُستعمر. هذهِ المُماثلة لم تكن عفويّةً أبداً، كما سيتّضح لنا من خطاباتهِ التّالية، لأن بشّار الأسد مُصمِّمٌ منذ البداية على قلب الحقائق رأساً على عقب لصالحهِ، خاصّة أنّه وصل إلى السّلطة بدون مُقدّمات يتغنّى بها، بل اعتمد على إرْث أبيه، وقد وجدَ الفرصة سانحة في الثّورة السّورية.

سيركّز بشّار الأسد على هذه النّقطة أيضاً في خطاب دار الأوبرا: «في البداية أرادوها ثورةً مزعومة.. فثار الشّعب عليهم حارماً إيّاهم من حاضنة شعبيّة»، إنّ استخدام كلمة شعب هنا جاءت دلالة على العموم والكثرة ضدّ قلّة قليلة أجنبية. لكنّ الشّبّيحة الذين أصبحوا شعباً ثائراً في خطابهِ، جاهزون لفهم معنى كلمة ثورة، الأمر الذي جعله لا يتوانى عن شرحها لهم «الثّورة بحاجة لمُفكرين.. الثورة تُبنى على فكر.. فأين هو المُفكّر.. مَن يعرف مُفكِّراً لهذهِ الثّورة.. الثّورات بحاجة لقادة.. مَنْ يعرف مَنْ هو قائد هذه الثّورة.. الثّورات تُبنى على العِلم والفِكر، لاتُبنى على الجهل.. تُبنى على دفعِ البلاد إلى الأمام لا إعادتها قروناً إلى الوراء.. تُبنى على تعميم النّور، على المجتمع لاعلى قطع الكهرباء عن النّاس..

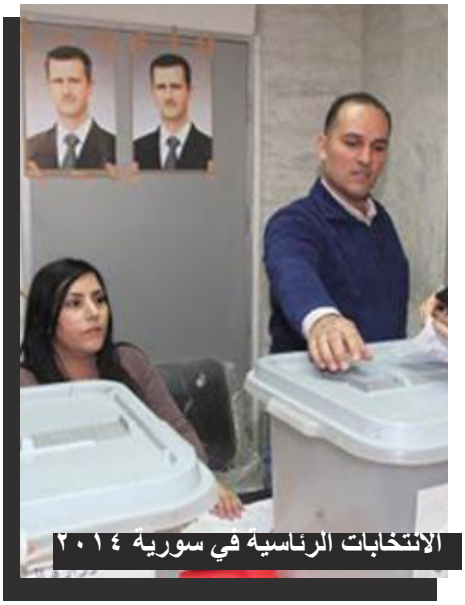
الانتخابات الرئاسيه في سوريه ٢٠١٤

الثّورةعادةً، ثورة الشّعب لا ثورة المُستَوردين من الخارج لكي يثوروا على الشّعب.. هي ثورةٌ من أجل مصالح الشّعب ليست ضدّ مصالح الشّعب. فبالله عليكم، هل هذهِ ثورة وهل هؤلاء ثوّار!، إنهم حفنة من المُجرمين». يستبطن هذا النّص، بأنّ المُفكّر هو بشّار الأسد، أمّا الفكر فهو بالطبع فكر حزب البعث، وأنّهم هم الثوّار الحقيقيّون، وهو قائدهم.

في خطاب القسم الأخير، أدّلة نهائيّة على جِدّية الرّئيس السّوريّ بطمس التّاريخ، وسرقة الثّورة من أصحابها. فلقد بدأ خطابهُ الذي أدلى بهِ في قصر الشّعب بمقتطفات من هُتاف المتظاهرين الذين خرجوا ضدّهُ، وكأنّي بهِ يحسدهُم عليها منذ سَمِعها أول مرّة، فراح ينسبها لشبّيحتهِ. أولئك الذين كانوا يهرعون لمحوها عن الجدران، ومارسوا أشدّ أنواع التّنكيل بقائليها: «عندما قال البعض نيابةً عنكم "الشّعب يريد" نعم الشّعب أراد، الشّعب قرّر، قالوا "إنّ الشّعب السوريّ واحد".. فوقفتم في وجه إعصار فِتنتهم، صَرَخوا "بأنهم لن يركعوا إلا لله" فما ركعتم لسادتهم، ولا استسلمتم، ولا سلّمْتُم ... فهنيئا لكم ثورتكم وانتصاركم»..ويبدوا أنّ قصّة ثورتهم وطردهم للإستعمار ليست كافية للمستقبل إذا ما قُيّض لبشّار الأسد أن ينتصر، ويُسجّل هو تاريخَ هذهِ المرحلة على هواه. لذلك لا بدّ من التّفتيش عن إنجازٍ ثوريٍّ آخر، فلم يجد أمامهُ سوى الإنتخابات الأخيرة ليضعها ضمن إنجازاتهِ العظيمة: «لم تكن تلك الانتخابات مجرّد عمليّة سياسيّة إجرائيّة كما هو الحال في أي مكان في العالم.. بل كانت معركة كاملة الأبعاد.. سخّرت كلّ المعارك الأخرى من أجل ربحها...». واستغرق تبيان وشرح أهميّة هذا المُنجَز ١٠٣٤ كلمة من خطابه. وطبعاً لم ينسَ أن يُذكّر شبيحتهُ بإنجازهم السّابق في طرد الإستعمار، وبالحديث عن إعادة الإعمار ستكون القصّة قد اكتملت مع الدّيكتاتور الثّائر!.

الحراك المدنيّ في المناطق الكرديّة في سُورية- الجزء الثّانيّ

شمسه شاهين

ساهم الهدوء والاستقرار الأمنيّ في المناطق الكرديّة في سورية في تكوين بيئة خصبة لنموّ ونشاط الحراك المدنيّ، والذي تجسّد بتشكيل العديد من «منظّمات المجتمع المدنيّ» المُهْتمّة بمختلف شؤون الحياة، من ثقافةٍ، وإعلامٍ، وطفولةٍ إلى تمكين المرأة. إضافةً إلى قيام العديد من المنظّمات الدّوليّة أو السّوريّة، عبر افتتاح مراكز ومقرّاتٍ لها لتكون مراكز تُوفّر فرص التّدريب واكتساب المهارات.

هذا مع عدم تجاهل أنّ «المجتمع المدنيّ» لا يعني طلاق السّياسة وتجنّب الاقتراب منها. بل على العكس، أساسه السّياسة كـ «رقابة» وليس كممارسة، فهو «الحيّز المستقل بينهما»، وناشط المجتمع المدنيّ هنا يقوم بوظيفتين: فمن جهة، هو يعمل لكي يحمي السّلطة من الانزلاق نحو الاستبداد، ومن جهة أخرى يقف إلى جانب المجتمع ويقوم بتوعيّته ووقوفه على قدميه، وذلك من خلال تقديم دراسات، أو مذكّرات، أو استخدام وسائل الإعلام، لذا فإنّ الأحزاب الكرديّة بمنظماتها المختلفة كانت أيضاً جزءاً من ذلك الحراك.

أضف بأنّ هشاشة البنية السّياسيّة لعب دوراً سلبيّاً في التّأثير على مفاهيم وممارسة «الدّيمقراطية»، لتبدو وكأنّها تجسيدٌ للمصالح الخاصّة، فغياب القانون يُنمّي نزوعاً قوياً إلى البحث عن المواطنة، والعموميّة، والمصالح الوطنيّة والحريّة. الأمر الذي أصبح إحدى الوسائل الموظّفة والمستعملة لخدمة المصالح السّياسيّة، وهذا يعني أنّ ما يحدث -في هذا النموذج- هو السّعي إلى قلب المعادلة، وتأزيم الوضع، من خلال محاولتهم بناء العامّ من داخل الخاصّ، أي إعادة تكوين نظامهم وولاداته من قلب المجتمع. وتظهر تبعيّة الاستعمال العموميّ للاستعمال الخصوصيّ على صعيد داخليٍّ في عسكرة المجتمع المدنيّ وراء برنامج الحزب الواحد، أو العمل بفكرة «المجالس المحليّة، أو الشّعبيّة»، وتصنيع الجمعيّات والأحزاب، أو السّيطرة عليها فتبدو التّعدديّة ظاهراً جميلاً، ولكن في باطنها انغلاق خانق.

المجتمع المدنيّ في الجزيرة السّورية مازال مسألة نخبة، ولم يعمّ الوعي الذي يجعل المجتمع المدنيّ واقعا جماعياً، ويبقى تُراثنا من أكبر العوائق التي تحول دون تعميم هذا الوعي.

خارطة منظّمات المجتمع المدنيّ

تمّ إحصاء أكثر من خمسين منظّمة مجتمع مدنيّ في منطقة الجزيرة، تُعنى بمختلف مناحي الحياة، وغالبها يفتقر إلى أيّ إستراتيجيّة عمل أو توثيق، وذلك في ظلّ غياب الدّعم والتّمويل الذي يسهّل العمل والأداء.

إضافة إلى ذلك، توجد حوالي ١٥ منظّمة حزبيّة يديرها الشّباب، تركّز على تفعيل دور الحزب في الحياة العامّة، وتساهم في تقارب وجهات النّظر في الشّارع بين مختلف الفئات.

خطوات متعثّرة في بناء المجتمع المدنيّ

تقول ألين خلف وهي ناشطة في مجال حقوق الإنسان والمجتمع المدنيّ: «كثيرة جداً هي المعوقات التي تقف في وجه المجتمع المدنيّ، فمبرّرات ضعفها هي حداثة التّجربة، ورغم ذلك فإنه ينبغي لمنظّمات المجتمع المدنيّ أنْ تنضج بتجربتها مع الوقت. وفي تصوّري، ليس المهمّ بأيّة سرعة تبلغ درجة الرّشد المطلوبة، بقدر أهميّة نزاهة الدّوافع في تأسيس تلك المنظّمات. مع الفارق في أنّ القائمين عليها هم أقلّ إصابة بأمراض القائمين على الفعل السّياسيّ من حيث التّهافت على المواقع والمناصب، وما يتأتّى من كسب عبر ذلك.

إنّ مجتمعنا يريد بناء واقع جديد قائم على أسس ومبادئ الدّيمقراطيّة، ولا يمكن له النجاح فيما يسعى إليه بدون منظّمات مدنيّة فاعلة حقاً، ومن الطّبيعي أنْ نجد بعض السّياسيين ينظرون بريبة وعدم ارتياح لهذه المنظّمات لأنّها تمثّل آليات رقابة إضافيّة عليهم. ولابد لنا من التّأكيد على استقلاليّة هذه المنظّمات عن مؤسّسات الدّولة، وبالتّالي لا مبرّر لوجود وزارة باسم المجتمع المدنيّ لأنّها تقيّد حركة المنظّمات. إذ يرتبط نجاح المنظّمة واستمرارها في العمل بصدقتيها وأدائها المتميّز ولا تجعل في أهدافها غير المعلنة تحقيق الأرباح فقط.

نشاط مدني لائتلاف شباب سوا

عن استراتيجيّة وتكتيكات قوى المقاومة

مازن كمّ الماز

الحرب على غزّة ومن قبلها الحرب في سُورية، أظهرت تشابهاً كبيراً في استراتيجيّة وتكتيكات قوى المقاومة المسلّحة في مواجهة عدوٍ متفوقٍ بالسّلاح والقوّة النّاريّة، على ما بين أوضاعها من تشابه واختلاف، وحتّى ما بينها هي من تحالفاتٍ وتناقضات. حماس وبقيّة قوى المقاومة الفلسطينيّة، والجيش السّوريّ الحرّ والكتائب الإسلاميّة المعارضة للنّظام السّوريّ، وأيضاً حزب الله في لبنان .. إذ أصبح البقاء والاستمرار هو الهدف الفعلي لكلّ هذه القوى في ظلّ توازن مقبول مع قوى الخصم، وأصبح التّكتيك المتّبع من قوى المقاومة هذه، هو تطوير قوّة «ردع» قادرة على إيلام العدوّ، وإجباره على العودة إلى التّوازن الهشّ. أو على الأقلّ، منعه من تحقيق النّصر الكامل والقضاء النّهائيّ على قوى المقاومة.

تعايشت حماس، ومعها بقيّة فصائل المقاومة المسلّحة، في هدنة طويلة الأمد مع قوّات الاحتلال، تخلّلتها معارك أو اشتباكات قصيرة الأمد وظيفتها الفعليّة إعادة إنتاج الهدنة، مع تحقيق بعض المكاسب على صعيد إمداد القطاع بحاجياته اليوميّة الضروريّة. حتّى حرب ٢٠٠٩ لم تخرج عن هذا الإطار، و من الصّعب اليوم أيضاً أن نجزم أنّ حكومة نتنياهو تريد تجاوز هذه الحدود وإعادة احتلال القطاع. وعلى الأغلب، لن تتجاوز أهداف قوّات الاحتلال من عمليّتها الحاليّة محاولة ضرب ما تسمّيه بنىً تحتيّة للمقاومة، لكنّها لن تحقّق أكثر من نجاح جزئيّ فقط في هذا، وستتمكّن قوى المقاومة من تعويض خسائرها كما جرى بعد حربي ٢٠٠٦ و٢٠٠٩ وسنبقى بعيدين عملياً عن أيّ تغيير جدّي في موازين القوى.

في سورية، وبعد أن تمكّنت القوى المحليّة للجماهير الثّائرة من تحرير أجزاء واسعة من سُورية، انتظمت تلك القوى عسكريّاً في ألويةٍ وكتائب إسلاميّة، وأُخرى تابعة للجيش الحرّ ذات تراتبيّة هرميّة واضحة، وإمدادٍ مستمرٍّ بالسّلاح، والذّخيرة، وغيرها من ضروريّات إدامة الحرب. وبعد تلك النّجاحات الأولى للقوى الثّوريّة المسلّحة بدأت تتشكّل حالة من التّوازن بينها وبين جيش النّظام وحلفائه، وأصبح أيّ تقدّم لأحدهما محدوداً و بطيئاً، وبدأت حالةٌ أقرب لحرب الخنادق أو المواقع، خاصّة مع حيازة

مقاتلين من كتائب عز الدين القسّام _ غزة ٢٠١٤

قوّات المعارضة المسلّحة صواريخ وأسلحة أكثر فاعليّة وأبعد مدى من الصّواريخ المحليّة التي استخدمتها في المرحلة الأولى من الصّراع، واتقانها وسائل شنّ الحرب «عن بعد» والتي- وإن كانت لا تعادل بعد وسائل قوّات النّظام من براميل وطيران حربيّ، وصواريخ أرض أرض- لكنّها مع ذلك تحدّد ملامح مرحلة جديدة تقوم على توازنٍ ما بين الطّرفين. و تُعوّل قوى المقاومة أيضاً على قدرتها هزيمة قوّات العدّو البرّيّة في حال محاولتها شنّ حربٍ برّيّة، أو على الأقلّ تأخيرها وإيقاع خسائر مهمّة في صفوفها باستخدام واسع للقنّاصة، وللعبوات، والألغام المضادة للدّبابات، والأفراد، والهاونات، والصّواريخ قصيرة المدى بما فيها تلك الموجّهة ضدّ الدّروع.

إنّ كلّ المواجهات القادمة بين قوى المقاومة وأعدائها ستأخذ بالضّبط شكلَ حربَيْ ٢٠٠٦ و٢٠٠٩: قصف العدوّ بالصواريخ، وإلحاق خسائر بمدنيّيه وقوّاته، ومحاولة استدراجه لحرب برّيّة طويلة لاستنزاف قواه ومنعها من تحقيق نصر حاسم على الأرض، مع المراهنة على تضعضع جبهة العدوّ، أولاً تحت وطأة خسائره البشريّة، وعجزه عن تحقيق أهدافه في وقت قصير. على الصّعيد الاستراتيجيّ، لا يمكن عمليّاً لقوى المقاومة أن تسعى لإلحاق هزيمةٍ نهائيّةٍ بالعدوّ على ضوء التّفاوت الهائل في التّسليح والقوّة النّاريّة. فمن الواضح تماماً في سُورية، أنّها تحاول الحفاظ على مواقعها، والتّقدّم حيث يمكنها ببطءٍ، وفي كلتا الحالتين تبدو أقرب للحفاظ على مكاسبها أكثر من محاولة تحقيق مكاسب جديدة، ناهيك عن تراجع هدف إسقاط النّظام. أمّا فلسطينيّاً ولبنانيّاً فإنّها تريد الحفاظ على قواها أيضاً، حتّى أنّها تحاول، كما يفعل العدو غالباً، تجنّب الصّدام المسلّح المفتوح مع إسرائيل إن لم تضطّر لذلك. وعلى الصّعيد الإنسانيّ، تضطّر قوى المقاومة للاحتماء بجماهيرها من ضربات العدو، وما عدا محاولتها إيقاع خسائر مقابلة بين مدنيّي العدو، لا تملك قوى المقاومة أيّة تكتيكات جدّية للتّخفيف من خسائر جماهيرها، بالعكس، إنّها مُضطّرةً للاحتماء بجماهيرها، الأمر الذي يُقلّل من خسائرها هي بالمقابل، ويصعب على طيران العدوّ وقوّته النّاريّة المتفوّقة تدميرها، كما أنّ الخسائر البشريّة بين المدنيين ستلعب دوراً في الحرب الإعلاميّة ضدّ العدوّ. مع ذلك، ورغم الخسائر المهمّة في صفوفها، لا نجد بين هذه الجماهير ميلاً قويّاً للتّذمرمن تلك التّكتيكات التي تَزيد من خسائرها ولا تعدها بالمقابل بنصرٍ حقيقيّ على مضطّهدها. يُبدي النّظام السّوريّ هنا نزوعاً أكبر للإجرام، وحساسيّةً أقلّ بكثير تجاه الخَسائر البَشريّة، سواءً في صفوف قوّاته، أو بين الجماهير التي يستهدفها مباشرة بوسائل قتل شديدة التّدمير. وهناك أخيراً الشّعور الغالب بين الجماهير بأنّ قوى المقاومة «تقاتل نيابةً عنها»، وأنّ دورها لا يتعدّى دور «الحاضنة الشّعبيّة» وأن تكون ضحيّة إجرام العدّو عند الضّرورة. رغم أنّ قوى المقاومة المعاصرة (الفلسطينيّة، والسّوريّة تحديداً) اعتبرت نفسها في لحظة تشكّلها تجسيداً لفكرة حرب التّحرير الشّعبيّة، لكنّها في الواقع سرعان ما تحوّلت إلى قوات محترفة دائمة تسعى لامتلاك ما تحتاجه من أسلحة وقدرات عسكريّة تتوافق مع استراتجيتها المعروضة سابقاً، وسرعان ما عملت هي نفسها على إجهاض أيّة مشاركة شعبيّة واسعة في المقاومة، وإذا استثنينا فترة التّأسيس، وفترة التّصدّي للعدوان الإسرائيليّ ١٩٨٢ عندما توّلت الجماهير مباشرة مهمّة التّصدي لجحافل الغزو، وحملت عبء المعركة -خاصّة في بداياتها- بينما كانت قوات المقاومة تنسحب غالباً دون قتال، فإنّ قوى المقاومة عملت كل ما بوسعها لإجهاض إمكان قيام حرب تحرير شعبيّة و ليس العكس، هذا أيضاً ما حدث في سورية، وفي لبنان من قبل.

لماذا لا تمثل المعارضة الخارجية السوريين؟

محمد الحاج

«تمثيل ثوار الداخل سيء، والسبب بُعد هذا التمثيل عن الداخل السوري وعدم وجود احتكاكٍ الحقيقي.»، « ¬إقالة الحكومة أو تشكيل أُخرى، لا يعني أي جديدٍ في المعادلة السورية.» هكذا كانت آراء أغلب الناشطين حول مدى تمثيل ثوار الداخل في المعارضة السياسية، وأيضاً حول قرار إقالة الحكومة المؤقتة.

مضى على تشكيل الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية ما يفوقُ العامين، أما الحكومة المؤقتة فقد مضى على تشكيلها أكثر من سنة، ولكن سؤالي هنا لن يكون: ماذا قدم هذان الجسمان للشعب السوري؟، بل سيكون السؤال بعد كل هذا الوقت: هل تحققَ تشكيلٌ عادلٌ يضمّ ثوار الداخل والخارج بشكلٍ متساوٍ؟

طرحت هذا السؤال، وأسئلةً أخرى على الناشطين محمد كيّاري، وساريتا، واللذان اتفقا في أغلب الأجوبة.

الناشط محمد كيّاري كان رأيه بالمعارضة السياسية، بأنها المعارضة التقليدية لنظام الأسد، والتي كان يفترض أن تكون مظلةً للثورة وصوتاً لها، لكنها في الواقع كانت معارضةً مُتشرذمة، أكثر ما مثلته هو التقاء المصالح والأحزاب والولاءات، وبالتالي عجزت عن أن تكون مفيدةً للثورة، شخصياً لا أرى فيها إلا مرمىً لسهام غضب السوريين، أهم ما تتصف به هذه المعارضة أنها تُعد من ذوات الدم البارد، لا تُحرّك ساكناً، مُتأخرةٌ جداً عن حراك السوريين. أما من ناحية تمثيلها للسورين فلم ترتق المعارضة لتطلعاتهم ولا تُمثل الكثير منهم، لأنها بالمجمل قائمةٌ على التقاء تحالفات.

ساريتا والتي تعمقت أكثر في الإجابة قالت: «المعارضة السياسية كانت ولا زالت على شَتاتٍ كبير، منذ بدايات الثورة السورية، حيث كانت متمثلةً ببضعة أفرادٍ ممن امتهنوا العمل السياسي غالباً، إلى أن تتطور الشكل العام لما يسمى المعارضة السياسية، فأصبح لدينا هيئاتٌ ومجالس ... الخ كلها لتضم أولئك «المعارضين» تحت مسمياتٍ عدّة، وقليلةٌ هي المواقف التي تبدت فيها كمعارضةٍ حقيقية قادرة على الأخذ بزمام العمل على الأرض السورية. أتفق مع محمد، فبُعد المعارضة عن الواقع السوري بأحداثه ويومياته وآرائه، لا يتيح لها تمثيل السوريين في حقيقة الأمر، من الممكن أنها تنقل أحياناً مطالب السوريين، وتحاول التعبير عن أوجاعهم بشكلٍ أو بآخر، والمناداة لمساعدتهم، لكنها في آخر المطاف لم تستطع تمثيل السوريين تماماً، فكل هيئةٍ تراها تابعةً لفكرٍ أو طرفٍ أو حزبٍ معين، تمثل توجهاته دون الالتفات الحقيقي للسوريين ككل.»

كيّاري رأى أنّ هذه التكتلات لا تمثل ثوار الداخل، لأنه ومن حيث الشكل تم ائتلافها من شخصياتٍ قد تكون بعيدةً عن الداخل منذ سنواتٍ طويلة، أو شخصياتٍ قد تكون أكاديميةً أكثر من كونها قريبةً من الشارع السوري، فلا مكان فيها لما يُسمى ثوار الداخل. «وهنا يجب علينا أن ننوه إلى أننا لا نستطيع أن نقول عنهم جميعاً (ثوار)، لا أستطيع أن أطلق على المعارض الخارجي اسم ثائر، الثائر برأيي هو الشخص الموجود في الداخل على مقربةٍ وتماسٍ من السبب الذي ثارَ عليه، أما من كان بعيداً عن الحدث، فهو معارضٌ و ليس ثائراً.»

ساريتا أيضاً ترى أن تمثيل ثوار الداخل في المعارضة السياسية سيء، والسبب بالتأكيد بُعدها عن الداخل السوري وعدم الاحتكاك الحقيقي بما يجري على الأراضي السورية.

وأكدت على أن المعارضة لا تمثل الطرفين بشكلٍ عادل، فهي مكونةٌ من بعض الشخصيات الذين يتبعون في غالبيتهم لأجنداتٍ معينة، أو إن كانوا مستقلين فهم غالباً ما مثلوا أراءً محدودة، لعلَّ المشكلة برمتها تكمن في أنهم ليسوا ثواراً بالفعل، فكلُّ ثائرٍ هو معارضٌ حتماً، ولكن ليس كلُّ معارضٍ هو ثائرٌ في الواقع، الثائر من يعمل على أرض الثورة، فيكون ابناً لها، هو من تتملكه روح الثورة الحقيقية فتراه ينقل بكل أعماله أشكالاً من الثورة، أما المعارض السياسي فيكتفي بآراءٍ وتحليلاتٍ لما يجري على أرض الثورة. الثائر يعمل، والمعارض يحلّل ويفنّد عمل هذا الثائر، فشتان بينهما.

فلو أن المعارضة عملت داخل الحدود السورية لتجنبت الكثير مما تعرضت له من صعوبات التواصل الحقيقي مع الداخل، وصعوبات تمثيله، وفهم الواقع كما هو عليه، ولربما استطاعت أن تكتسب خبرةً عمليةً لقيادة البلد، وهذا ما نفتقر إليه تماماً، على عكس ما يجري الآن، فلو كانت المعارضة تعمل في الداخل لاستطاعت الاهتمام بكثيرٍ من الأمور الإدارية التي كان يجب فعلياً أن تكون من مهامها، لا أن تقع على عاتق الثوار ممن حملوا السلاح، ولكانت قد مثلت السوريين فعلاً إلى حدٍ كبير.

يوافقها كيّاري في هذه النقطة بالذات: «بالتأكيد لو أن المعارضة كانت تعمل في الداخل لكانت الأمور أفضل حالاً، و لكنّا لمسنا على أقلّ تقدير الكيان البديل للنظام بأدنى حدٍّ من منظومته المؤسساتية، لا أن تكون كما هي الآن، فوضى منقطعة النظير في كل المناطق التي تسيطر عليها المعارضة!.»

في قرار مفاجئٍ تمّ اتخاذُه من الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية بإقالة الحكومة المؤقتة بشكلٍ كامل، طُرح التساؤل التالي: هل من الممكن أن يولد تشكيلٌ جديدٌ بدلاً عنها في الداخل السوري، يأخذ ثوار الداخل فيه حقهم الكامل في التمثيل والنصاب؟

كيّاري كتب قائلاً : «¬إقالة الحكومة أو تشكيل أُخرى، لا يعني أيَّ جديدٍ في المعادلة، لأن تغيير الوجوه لا يُغيّر في المعطيات على الأرض.»

ساريتا كانت أكثر تفاؤلاً من كيّاري حيث قالت: «من الممكن أن يولد تجمعٌ يضمُّ ثوار الداخل في حال تغيرت الطرق والأشخاص القائمين على هذا التغيير، ولكن إذا لم يتحقق تغييرٌ جذريٌّ في الآليات فلن نصل إلى أي جديد.»

على ما يبدو أنني لم أستطع أن أحصل على أيّ رأيٍ مخالفٍ لرأي أغلبية الناس، والذي تمثّل في عدم تمثيل الائتلاف والحكومة للشعب السوري، وعدم تمثيل ثوّار الداخل -وهم الذين مازالوا يضحّون- بأيّ تشكيلٍ سياسي، على الأقل لأخذ رأي من يموت على هذه الأرض فداءً لها. أليس من المفترض أن تتساءل هذه التشكيلات على أسباب عدم تمثيلها للسوريين؟ وإذا كانت بالفعل تعمل لصالح سوريا والشعب السوري، لماذا لم نرَ أيّ تواصلٍ جديٍّ صريحٍ وشفاف من قبلها مع الناشطين لحلّ أزمة الثقة بينهم؟.

المعارضة والخديعة

مأمون جعبري

مظاهرة في مدينة درعا ٢٠١١

في بدايَة الشّهْر الثّالث منْ عَام ٢٠١١، ولأوّل مرّة مُنْذ أَكْثر منْ أرْبعين عَاماً يَخْرج السُّوريون بأَعْداد كَبيرةٍ إلى الشّارع في مُعْظم المُحافظات يُطالبون النِّظام السّوري بحقُوقهم المَسْلوبة، رافعينَ شعَاراتهم في الحرّية والكَرامة، ومُتمسكين بِوَحدة انْتماء الشَّعب السُّوريّ بكَامل أَطْيافه عبْر شعَار الشّعْب السُّوريّ وَاحد، وكَانت هَذه المُظاهرات بكلّ دَلائلها تَظاهرات سلْمية حَضارية، ومنَ المُفْترض أنّها مَكْفولة كحقّ منْ وجْهة نَظر القَانون الدَّوليّ ،وبَدأ النّظام السّوريّ بمُواجهة المُتظاهرين في بَادئ الأَمْر باعْتقال قيَاداتهم، وإطْلاق الوُعود الإعْلاميّة عنْ بدْء مَرْحلة إصْلاحٍ قانونيّةٍ عَميقة، مثْل إعادَة النَّظر في قَانون الطَّوارئ، وإنْهاء سَيْطرة حزْب البَعْث على الحَياة السُّوريّة بكلّ تَفاصيلها. هَذا بالإضَافة إلى الوُعود المُتكرّرة التي أطْلقها رأْس النِّظام السّوريّ بمُحاسبة الأَفْراد الذين قَاموا بمُمارسة العنْف المُفْرط تجاهَ السُّوريين المُنْتفضينن، منْ أمْثَال الضَّابط عاطف نجيب المَسْؤول عنْ تَعْذيب أَطْفال مَدينة درْعا.

اسْتمرّ الشَّعْب السّوريّ في تَظاهراته بعْد تَيقّنه أنّ وُعود النِّظام وعودٌ واهية، واسْتمرّ النّظام في إطْلاق الوُعود والإشَارات التي حاولتْ الإيحَاء بأنّ بشّار الأسد غيْر راضٍ عنْ مُمَارسة العنْف تجَاه المُتظاهرين السِّلْميين، لكنّ ذَلك لمْ يَمْنع حَملات الإعْتقال، التي تَرافقَت مع ظهُور المُنْدسين، وهمْ عَنَاصر مَجْهولة الهويّة زَرعها النّظام، تَحْمل أَسْلحة فَرْديّة وتُشارك المُتظاهرين مُظاهراتهم ليُعَاد إظْهَارها على القَنوات التّلفزيونية بعْد اعْتقالها بُغية سَرد رواياتها عنْ الأعْمال العنْفيّة المُسلّحة في التَّظاهرات، ولمْ يكُنْ خفيّاً على السّوريين، وخُصوصاً مُنظّمي التَظاهرات (التَّنْسيقيّات) أنّ هَؤلاء المُنْدسين عُملاء تمّ تَجْنيدهم منْ قبَل المُخابرات السُّورية.

ولكنْ في حَقيقة الأمْر، وبعْد ثَلاثة أَشْهر منْ انْطلاق الانْتفاضة، بَدأتْ تَظْهر عَلائمَ ذات دَلالات خَاصّة على الجَسد المُنْتفض، وأَخذت تَعْبيراته الإعْلاميّة تُشير إليْه، بدْءاً منْ إطْلاق أَسْماء ذات مَدْلول دينيّ إسْلاميّ على عَدد لا بأْس بهِ لأيّام الجمْعة- الذي كانَ الرَّمْز الأَساسيّ للانْتفاضة- وتتّضح الصّورة تَماماً في يوْم الجمْعة السّابع من تشْرين الأوّل عام ٢٠١١، عنْدما رَفع المُتظاهرون شعَارَ (المَجْلس الوَطنيّ يُمثّلني)، وهُنا ظَهر للعَلن أنّ هُناك قوّةً سياسيّة لَها تَأْثيرٌ كَبيرٌ على الشَّارع، وهو المَجْلس الوَطنيّ المُتكوّن أَساساً منَ الإخْوان المُسْلمين. وتَتابع ظُهور التَّأْثير المُباشر للمَجْلس الوَطنيّ حين أَخَذت الشِّعارات تَتكرّر بصيَغ غَريبة عنْ شعْبٍ يُنادي بحرّيته مثْل (تركيا تُمثّلني، وقَطر تُمثّلني)، والمُثْبت أنّ كلْتا الدَّوْلتين تبنّتا للتّيار الإخْواني فيمَا يَخصّ الانْتفاضة السُّورية. وفي حَقيقة الأمْر، ظَهر في وَقْت سَابق عنْ الإعْلان عنْ جمْعة (المَجْلس الوَطنيّ يُمثّلني) تَسْمية إحْدى الجمَع بـ (لا للحوار)، وذَلك في الثَّامن منْ تمّوز منْ ذات العَام؟ فكَيْف لشَعْب مُنْتفض أنْ يَحْصل على حُقوقه وهُو رَافض أنْ يُحَاور منْ سَلبه حقوقَه؟ إذاً أَمِن هذا الشَّعب أنّ النّظام سَيسْقط بالقوّة العَسْكرية.

فمِن أَيْن أَتاه هَذا الاعْتقاد وهُو مُدْركٌ أنّ النِّظام مُدجّج بالسّلاح، وهَزيمته عَسْكرياً لنْ تتمّ عبْر بعْض البَنادق التي حَصَل عليْها قسْم منَ المُتظاهرين أوْ المُنْشقين؟ وهذا كانَ دَليلاً على أنّ الإخْوان المُسْلمين، وفي مَرْحلة مبكّرة على تَأْسيس (المَجْلس الوطنيّ في الأوّل منْ شهْر تشْرين الأوّل منْ ٢٠١١)، كانوا قدْ بَدؤوا بوَضْع ثقلهم في الأَحْداث الدَّائرة في سُورية، وبَدؤوا بتَوْجيه الانْتفاضة إلى الزّاوية التي يَعْتقدون أنّها ستَكون رأْس الحَرْبة لبدْء تَحْقيق حلْمهم بـ (اسْتلام السّلطة). واسْتطاعوا إقْناع المُنْتفضين السُّوريين بأنّ هذا هُو الحلّ الوَحيد والمَضْمون. وفعْلاً، اقْتنعتْ قطاعاتٌ واسعةٌ منَ الشّعْب السُّوريّ المُنْتفض بالرّواية كَاملة، وذَلك تَحْت تَأْثير ضَغْط النّظام الذي أَخَذ يُصعّد في فعْله الدّمويّ، والإغْراء المَاليّ الذي بَدأ يَتدفّق عنْ طَريق الإخْوان المُسلمين. وبَدأ الإخْوان المُسْلمون بحبْك خطّتهم المُسْتندة على إسْقاط النّظام بالقوّة عبْر التَّدخل الخَارجيّ مَع إقْصاء أيّ طيْف مُعارض آخر، وهَذا مَا رَأيناه حينَ أَفْشل الإخْوان نَتائج مُؤْتمر القَاهرة في أوَاسط عَام (٢٠١٢) والذي نَتج عنْه وَثيقة العَهْد الوَطنيّ للمَرْحلة الانْتقالية، ومَا حَملتْه منْ آمالٍ للسّوريين لأنّها تَضمّنت

ولكنّ الحَقيقة الكَارثيّة التي تبيّنتْ لاحقاً، هي أنّ الإخْوان المُسْلمين لمْ يَتلقّوا أيَّ تَأْكيد منَ الدُّول القَادرة على إسْقاط النِّظام عَسْكرياً. وبَنوا أَحْلامهم على اسْتقرائهم لمَا حَدث في ليبْيا، وسَاقوا الشَّعْب السُّوريّ وَراء وُعودٍ كَاذبة، كانَ منْ نتَائجها المُباشرة على الأَرْض تغيّر مَسار الانْتفاضة بشَكْل شبْه جذْريّ، منْ انْتفاضة ذَات طُروحات ديمقراطيّة تَتماشى مَع القَوانين الدّوْليّة، إلى انْتفاضة ذات وجْه إسلاميّ مُتشدّدٍ مُسلّح يَرْفض كلّ الشّرائع المُتّفق عَليْها عَالميّاً، ويُحَارب أيْ طَرفٍ مَدنيّ ديمقراطيّ. ومنْ جهَة ثانية، أُصيب الشَّعب السُّوريّ بإحْباط شَديد، وبَدَلاً منْ تَوْجيه لَومه إلى منْ كَذب عليْه بالوُعود (الإخْوان المُسلمون)، أَصْبح كَارهاً وحَاقداً للمُجْتمعات الغربيّة وحُكوماتها، كمَا وأنّه فَقد القُدْرة عَلى التَّحْليل المَنْطقيّ، إذْ أَصْبح يُطالب حُكومات العَالم بإتّخاذ مَواقف تَعْتبر مَصْلحة السّوريين أَوْلويةً على مَصالح شُعوبها.وهذا الوَهم الذي زَرَعه فيه الإخْوان المُسْلمون جَعله في موْقع المَصْدوم دَوْماً، إضَافةً إلى وُقوعه تَحْت تَأْثير الفعْل المُباشر للتّنْظيمات الإسْلاميّة الرَّاديكاليّة التي في أَحْيان كَثيرة تَكون أَشدّ فَتْكاً منَ النّظام القَائم فيما يَخصّ مَفْهوم الحرّيات وخَاصّة الشّخْصية، ومَا التّقارب الإيرانيّ- التركيّ الحَالي ومَا مثّله منْ دَهْشة مُسْتنكرة منْ سوريي الانْتفاضة إلاّ مثَالاً على حَجْم الأَذية التي أَصَابت السُّوريين، وجَعَلتْهم غيْر قَادرين عَلى فَهْم تَقاطع المَصالح الدَّوْليّة العَالميّة. والمُصيبة لمْ تَزلْ مُسْتمرة بإصْرار الإخْوان المُسْلمين على الاسْتمرار في اسْتثْمار دمَاء السُّوريين للوُصول إلى حلْمهم في اسْتلام السُّلطة.

الدّهاء الأَمريكيّ جعل من الدّب الرّوسيّ مهزلة السّياسة العالميّة

عبد القادر العبيد

وزير الخارجية الأمريكي كيري مع نظيره الروسي لافروف

دعونا نُركّز أوّلاً على بعض الحقائق قَبل الخوض في تَفاصيل البحث، وأهمّها:

كلّنا يعرف أنّ الأمريكان طَالما تغنّوا بأنّهم المُدافعين عن حقوق الإنسان وحرّيات الشُّعوب، ويشكّل ذَلك جزْءاً منَ السّياسةِ الدّيماغوجيّة التي تَتبعها إداراتِهم المُتعاقبة في فرض هَيمنتها على شعوبها أوّلاً، وعلى دول العالم ثانيًا.

في المُقابل، نَجد الرُّوس دائماً ما يتغنّون بمواقفهم التي يصفونها بـ «الثّابتة» وعدم تَخلّيهم عن حلفائهم - رموزِ الدّكتاتوريات - وهَذا هو المنحى الذي تَسير به سياستهم.

إلاّ أنّ ما رأيناه خلال العقد الماضي يُشير إلى أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة عندما تقرّر فعل شيء فهي لا تَنتظر الموافقة الرّوسيّة، ولا الصّينيّة، ولا الأوربيّة. وتَتّجه نحو هدفَها دون أن تَأْخذ الإذن من أَحد. وهذا ما رأيناه في العراق، وليبيا، وأفْغانستان القَريبة من روسيّا.

أمّا فيما يتعلّق بالثّورة السّوريّة، فمنذ بداية الثّورة أبدى الأمريكان موقفهم المناصر للشّعب السّوريّ؛ وحقوقه المشروعة في الحرّية والدّيمقراطيّة. وفي هذه المرّة تحديدا، لم تبدِ أمريكا هذا الموقف دفاعاً عن الشّعب السّوريّ، ولكنّها أظهرت موقفها بشكل سابق لأوانه، كي تزجّ الدّبّ الرّوسيّ في الضّفّة المقابلة لها. وهذا ما حدث فعلاً كون الرّوس اعتادوا على زجّ أنفسهم في الضّفة المقابلة للأمريكان دائماً؛ حتّى ولو كانوا على خطأ، وهذه هي طريقة الأمريكيين دائماً عندما يريدون استجرار الرّوس إلى موقف يريدونه.

الحقيقة الأهمّ، والتي يجب ألاّ تغيب عن أذهاننا أبداً، هي أنّ أمريكا ترى في نظام الأسد نظاماً حليفاً، ومطيعاً، متخفيّاً خلف ستار المقاومة التي يستمدّ من خلالها التّأييد الشّعبيّ لتنفيذ المصالح الاستراتيجيّة الأمريكيّة؛ سرّاً أو علناً، وأهمّها حماية حدود إسرائيل من الجانب السّوريّ، وحماية حدودها من الجانب اللّبنانيّ من خلال حزب الله، وهذا شيء لا يختلف عليه اثنان.

لكن عندما بدأت المظاهرات في سُورية، وأبدت روسيّا موقفها المتعارض مع الموقف الأمريكيّ، سارعت أمريكا إلى الحصول على مكاسب لم تكن تحلم بها من قبل، من أهمّها: خلق الفجوة الأعمق بين الشّعب السّوريّ والقيادة الرّوسيّة، وذلك من خلال المطالبة بإدانة واضحة في مجلس الأمن للنظام السّوريّ. ففي حينها لم تبدِ الولايات المتحدّة الأمريكيّة أيّة مرونة في التّنازل عن بنود القرار، وذلك كي تُجبر الرّوس على استعمال حقّ النّقض «الفيتو». إذ أنّ عدم استعمال الرّوس لهذا الحقّ كان سيرتّب على القيادة الرّوسيّة أعباء لا تستطيع تحمّلها، وأهمّها المشاركة في العمل العسكريّ ضدّ النّظام في حال فكّر الأمريكان بالإطاحة به.

هنا أوعزت أمريكا لحلفائها بتقديم قرارين آخرين يُدينان النّظام السّوريّ في مجلس الأمن، وأجبرت روسيّا على استعمال حقّ النّقض مُجدّداً. وهذا ما دفع الشّعب السّوريّ إلى حرق الأعلام الرّوسيّة في المظاهرات، وبذلك تحقّق المسعى الأمريكيّ في خلق هوّة من الخلاف بين الشّعب السّوريّ والحكومة الرّوسيّة، والهدف هو قطع التّعامل بين البلدين لأنّ تحقيق هذا المسعى يجعل من سُورية دولةً على الشّكل التّالي:

١. سُورية الدّولة بدون أي حليف قويّ يدافع عنها في المحافل الدّوليّة.

٢. سُورية الدّولة بدون أي حليف عسكريّ يزودها بسلاح نوعيّ يُهدّد أمن إسرائيل.

٣.سُورية الدّولة مدمّرة، ومواردها الماليّة معطلّة، واقتصادها منهار. بالإضافة إلى إنهاك جيشها، وقتل خبراته. بحيث تنام إسرائيل مطمأنة البال على الاقلّ عشرين سنة قادمة.

٤.إيجاد البديل من قبل أمريكا نفسها، وبمساعدة عملائها، للوصول إلى مفاصل الدّولة بحيث يمكن التّحكم بقرارات السّلطة القادمة، كي تبقَ سورية ضعيفة تابعة للإملاءات الأمريكيّة كما هو حال الدّول المجاورة لإسرائيل: كلبنان، والأردن، ومصر، والعراق. وبالتّالي خروج روسيّا خارج هذا المربّع الذي يحيط بإسرائيل. خاصّة بعد أن استطاعت إخراجها من العراق وليبيا، ولم يبقَ سوى إخراجها من السّودان.

هنا بدأت أمريكا بالخطوة الثّانيّة المتمثّلة بتدمير الجيش، فأوعزت لحكومة قطر بالتّركيز على دعم الإسلاميين. وسلّمت الملّف السّوريّ لقطر، وبقيت تُعطي تعليماتها من خارج نطاق دائرة الصّراع. وبذات الوقت، أوعزت للسّعودية بضرورة كسب ودّ المعتدلين من الجيش الحرّ واستمالتهم إلى صفّها. وكان الهدف من وراء ذلك هو خلق شرخ بين الفصائل الإسلاميّة، وفصائل الجيش الحرّ، خاصّة بعد أن رفض الجيش الحرّ مُحاربة الإسلاميين في بداية ظهورهم. فحاولت أمريكا خلق هذا الخلاف كي تُحقّق هدفين: الأوّل دفع الجيش الحرّ وإجباره على محاربة الإسلاميين الذين بدأت قوّتهم تكبر؛ وبدؤوا يستولون على مواردهم القادمة من الخارج. والهدف الثّانيّ هو أنّ الأمريكان لا يريدون توحّد كلّ الفصائل المقاتلة على الأرض كي لا تتم الإطاحة بالنّظام السّوريّ بشكل سريع قبل أن يتمّ تدمير الجيش السّوريّ، الذي ما زال يملك بعض الإمكانيّات العسكرية التي من الممكن أن تُهدّد أمن إسرائيل، وهذا ما تحقّق بالفعل. حيث

قامت قطر بالتّركيز على دعم الإسلاميين، في حين قامت السّعودية باستقطاب بعض فصائل القوى المعتدلة من الجيش الحرّ، ووعدتهم بتقديم الدّعم اللازم، إلاّ أنّها لم تفِ بوعودها لأنّها لم تتلقَّ الإذن الأمريكيّ، فبدأ الانقسام من هنا. وبذلك أصبحت بعض الفصائل من الجيش الحرّ تنضوي تحت حلف (السعودية + الاردن، بينما انضوت الفصائل الإسلاميّة تحت حلف (قطر + تركيا)، فخُلق الشّرخ المُراد إيجاده بين صفوف المعارضة المسلّحة، وأصبح كلّ فصيلٍ يُغنّي على «تمويلاه».

وفي تلك الأثناء دخل بعض المموّلين العرب، ورجال الأعمال من الذين يريدون خلاص الشّعب فعلاً. وحاولوا تقديم بعض الأموال للمعارضة المسلّحة المعتدلة. خاصّة بعد أن رؤوا دور الإسلاميين المتنامي على الأرض وحاولوا الحدّ من هذا الدّور، إلاّ أنّ امريكا سارعت بالإيعاز إلى حلفائها الأوربيين بفرض الحظر على شراء السّلاح للمعارضة السّورية، وذلك كي تبقى الخطة الأمريكيّة تسير بالشكل المرسوم لها. وفرضت الحظر على حركة الأموال البنوك الأمريكيّة والأوربيّة، وقامت بمراقبة حركتها ومنع خروج أيّ مبالغ كبيرة كي لا تذهب للتّمويل العسكريّ. وقد حدث ذلك فعلاً، إذ شاهد الجميع ذلك الحظر الذي تمّ فرضه على منع وصول السّلاح للمُعارضة السّوريّة من قبل الأوربيين، وذلك لكي تبقى قطر هي الدّولة الوحيدة المموّلة للعمل العسكريّ في سُورية.

والغريب أنّ الحكومة القطريّة كانت ترسل لائحة مفصّلة بالأسماء والكميّات مع كلّ شحنة أسلحة ترسلها، حيث تضع في تلك اللّائحة أسماء الفصائل المقاتلة، وبجوار اسم كلّ فصيل تضع نوع وكميّة السّلاح التي يجب إيصالها له، فتقوم بمنح أكثر من ٩٥ ٪ من السلاح للفصائل الاسلامية، في حين تُبقي هامش ٥٪ لرئاسة الأركان توزّعها لمن تشاء، كي لا يظهر السّيد رئيس الأركان أمام العالم عبارة عن رجل كرسيّ، مهمته تنفيذ ما يُملى عليه فقط.

استمرت هذه المهزلة حتّى أصبح الشّرخ واسعاً بين صفوف المقاتلين في الداخل السّوري، وهنا بدأ النّظام يستعيد شيئاً من توازنه، وكان الوقت قد أُتيح للولايات المتّحدة الأمريكيّة الانتقال إلى الخطة (ب)، وهي سحب الملّف من يد الحكومة القطريّة وتسليمه للحكومة السّعوديّة.

وزير الخارجية الأمريكي مع نظيره القطري

وفعلاً، استلمت الحكومة السّعوديّة ملّفاً شائكاً، وتركةً ثقيلة قد تكون أكبر من طاقاتها الفكريّة والسّياسيّة، وحاولت أن تعمل جاهدةً للخروج بنتائجَ مرضيةٍ لسيّدها الأمريكيّ. إلاّ أنّ الواقع يشير إلى أنّ فشل السّعوديّة هي النّتيجة التي تسعى إليها الإدارة الأمريكيّة، فهي لا تريد أن يخرج السّعوديين مُنتصرين كي لا تقدّمهم على القطريين، وبنفس الوقت هي لا تريد أن تصبح سُورية دولةً تتبع للسّعوديّة. ويكفي أنّها خلقت شرخاً بين الأشقاء الخليجيين- قطر والسّعودية- الذين حاول كلٌّ منهم على حِدى، تنفيذ الإملاءات الأمريكيّة من أجل تحقيق مكاسب ومغانم سياسيّة، واستراتيجيّة في سورية المُحرّرة. فالقطريون كانوا يريدون انتصار الثّورة على أيديهم كي يحققوا الحلم الذي يطمحون إليه المتمثّل بمدّ خطّ غاز قطر –أوربا عبر الأراضي السّورية. وبنفس الوقت، يسعى السّعوديون لتحقيق هدفهم المتمثّل بحفر آبار نفط على الحدود السّورية مع العراق لمنع تسرّب النّفط السّعوديّ إلى الأراضي السّورية، لأنّ منطقة دير الزور تُعتبر منطقة منخفضة، وهذا يُسّهل تسرّب النّفط السّعودي إلى الأراضي السّورية. وكلا الحُكومتين قدمتا طلبات بهذا الخصوص للنّظام السّوريّ، ورفض تلبيتهما.

والحقيقة الأهم التي يجب أن نعلمها جميعاً، هي أنّ الأمريكان لن يسمحوا للقطريين، أو السّعوديين، بإسقاط النّظام في سورية، وكلّ ما هو مطلوب منهم إطالة عمر الثّورة السّوريّة مدّةً أطول كي تسير خطّتهم على أكمل وجه. وبنفس الوقت، علينا أن ندرك أنّ الولايات المتحدة الأمريكية ليست متمسكة بنظام الأسد لكن ليس هناك بديل. وبنفس الوقت هي لا تريد ظهور أي بديل في الوقت الحاضر. بل تقوم بتحضيره لمرحلة ما بعد هذه المرحلة- مرحلة الفشل القطري السعودي- لكي تخرج أمريكا بنتائج مرضية:

١.تدمير الجيش السوري بشكل شبه كامل.

٢.تدمير البنية التحتية في سورية.

٣.تمزيق النسيج السوري والذي سوف ينتج عنه ما يُسمى بالفوضى الخلّاقة. التي تجعل الأطراف السياسية متصارعة على السلطة ومنشغلة عن اسرائيل.

٤.إنهاء التحالفات السياسية بين سورية وبين أي دولة قوية ممكن أن تمدها بالسلاح المتطور الذي يمكن له أن يهدد أمن اسرائيل يوماً ما.

٥.فكّ التحالف الإيراني- السوري الذي طالما حلمت اسرائيل بتفتيته. مع زيادة الضغط على الاقتصاد الإيراني المنهك أساساً

٦.تخرج الولايات المتحدة الأمريكية على صورة المنقذ الوحيد للشعب السوري، من خلال تقديمها الشخصية البديلة لنظام الأسد. وبالتالي تصنع من نفسها بطل الإنقاذ الأوّل.

٧.استنزاف قوة حزب الله العسكرية، مع المحافظة على إبقاءه على الحدود اللبنانية الاسرائيلية، خوفاً من دخول قوات مقاومة سنية.

خاصة وأنهم يعتقدون بأنّ السنة هم أكثر تشدّداً وتطرّفاً من الشيعة، وقد خاضوا هذه التجربة في العراق. لذا هم سيحافظون على وجود حزب الله الحدوديّ مع اسرائيل، على أن يبقَ لديه قوة متواضعة.

٨.استدراج أكبر عدد ممكن من الجهاديين إلى سورية للخلاص منهم دفعة واحدة، وعلى أيدي الجيش الحر، الذي سوف يتم دعمه خلال الأيام القادمة بإمكانيات عالية. وهذا ما دفع الأمريكان إلى تسليم الملف السوري لقطر- التي تدعم الاسلاميين- أولاً، وأجّلت السعودية التي تدعم المعتدلين إلى المرحلة الثانية

٩.قطع اليد الروسية في المنطقة، وخاصة في الدول التي تقع في حوض المتوسط. علما أن هذا الهدف لم يكن مسبقا في بال الأمريكان، ولكنهم وجدوا فيه مغنم جديد يضاف إلى المغانم الأمريكية.

وهكذا سارت كلّ الأمور حسب الإرادة الأمريكية، حتّى حدث متغير فاجأ العالم بأسره، ألا وهو استخدام «الكيماوي». فهذا ما لم يكن بالحسبان الأمريكي على الإطلاق. وخاصة استخدامه بهذه الكمية الكبيرة، والتي وضعت الأمريكان في موقف محرج جداً خاصّة وأنّ أوباما أوعز للأسد باستخدام كل انواع الأسلحة عدا الكيماويّ.

وبعد أن شهد العالم هذه المجزرة المروعة، رأت أمريكا أنّ عدم تدخلها وإظهار شيء من قوتها سوف يؤدي إلى زعزعة الهيبة الأمريكية في العالم. وبالتالي هو تهديد لأمنها القومي. خاصّة وأن كل الدول تؤطّر أمنها القومي في قضايا منطقة أو حدود أو موارد اقتصادية. باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التي ترى حدودها من القطب إلى القطب، وأنّ هيبتها سرّ قوتها. وتربط أمنها القوميّ بهذه الهيبة التي تفرضها على العالم.

وهنا قامت أمريكا برفع صوتها عالياً بأنّها سوف توجه ضربة لنظام الأسد كي تستعيد هيبتها، إلاّ أنّها استبقت الضربة بتصريحات تنذر بوجوب استمرار الصراع في سورية. كقولها: إنّها لن تقوم بضربة لإسقاط النّظام، بل هي ضربة تأديبية مع تجنب ضرب النقاط الحسّاسة التي قد تسقط النّظام. لكنّ الأسد استبق الضربة الأمريكية، وقام بعدّة خطوات استباقية منها. نشر إشاعات أنّ كبار الضباط هربوا مع عائلاتهم إلى بيروت ودبي. وأنّ الكثير من العسكريين بدؤوا بالانشقاق، وغيرها من الأكاذيب، وقام بإخراج بعض العائلات فعلاً لإقناع الأمريكان بأنّ الضربة سوف تنهي نظامه،

وزير الخارجية الأمريكية جون كيري والعاهل السعودي عبد الله في الرياض

علماً أنّ تلك العائلات خرجت بإرادة النظام وليس بدون علمه. كما وأنه أجرى لقاءً مع إحدى الصحف الأمريكية، ووجّه رسالةً واضحة للأمريكان، عندما سأله المذيع: «هل من الممكن أن يسقط نظامك اذا ما وجهت لكم الولايات المتحدة أي ضربة عسكرية»، فأجابه: «نعم، وهذا سوف يُعزّز من قوّة الإرهابيين، وسينمّي دور القاعدة في المنطقة»، أي أنّه يُهدّد أمن اسرائيل. وهذه كانت رسالة واضحة للأمريكان مفادها: أيّ ضربة للنظام تعني أنّ النظام سينهار، وهذا ما جعل الأمريكان يلعبون معه لعبة القطّ والفأر، وحاولوا طمأنته أكثر بأنّهم لن يُسقطوا نظامه، فزودوه بأدق التّفاصيل عن الأماكن التي سوف يقومون باستهدافها، وذلك من خلال صحيفة حصلت على معلومات سرية تفيد بتفاصيل الضربة الأمريكية. وصحيفة أُخرى أمريكية سرّبت معلومات عن المواقع التي سيتم استهدافها. إلاّ أنها كلّها كانت عبارة عن رسائل موجهة من جهاز الـ C.I.A الأمريكية، تنذر الأسد ونظامه بضرورة إخلاء تلك المواقع لأنهم مجبرين على توجيه ضربة شكلية لاستعادة شيء من ماء الوجه الذي سفك أمام العالم كلّه. ومع أن الأسد بدأ باخلاء المواقع المشار اليها بالتسريبات فعلاً، إلاّ أنه كان مصرّاً على أنّ أي ضربة موجهة لنظامه سوف تسقطه، وسوف تعمّ الفوضى والخراب في سورية. وهنا تدخّلت أجهزة المخابرات في كل من بريطانية وفرنسا وأمريكا، لإخراج ساستهم من هذا المنزلق، فأعادوا اللعبة الى مسارح الدّمى -البرلمانات الغربيّة- التي تُحركها أجهزة الاستخبارات في بلادهم كيفما شاءت، خاصّة فيما يتعلق بالقضايا المرتبطة بالأمن القومي لتلك الدول. ومن المهم أن يعلم الجميع أنّ البرلمانات الغربية لها حرية شبه مطلقة فيما يتعلق بالقضايا الداخلية التي تتعلق بشؤون المواطن في بلادهم، ولكن عندما يتعلق الأمر بقرار دولي أو أمن قوميّ، فهنا يأتي دور أجهزة المخابرات في توجيههم للتصويت على رفض القرارات، أو قبولها، بحسب ما ترتأيه أجهزة مخابرات بلادهم، والتي تقوم بدورها بإعطائهم دراسات مفصلة، وتوضح لهم ضرورة التصويت على الرفض أو على القبول، وبذلك هي تُبقي البرلمان بالواجهة، وتحقق الهدف في رفض أو قبول القرار. وبنفس الوقت تظهر أمام العالم على أنّها دول ديمقراطية تحترم ما يقرره البرلمان المنتخب من قبل شعوبها، «وهذا ما حدث بالفعل»، حيث قام مجلس العموم البريطاني بالتصويت على قرار التدخل في سورية وصوّت الاغلبية برفض مشاركة الحكومة البريطانية في توجيه ضربة للنظام السّوري وهذا الرفض لم يكن رفضاً برلمانياً فحسب، بل كان رفضاً حكومياً أيضاً. فلو لم تكن الحكومة البريطانية قد تلقّت تحذيرات تنذرها باحتمالية سقوط نظام الأسد من الضربة الأولى، لما توجهت الحكومة البريطانية إلى البرلمان أساساً، فهي ليست مضطرة لفعل مثل هذا الإجراء. لكنّ القيادة السياسية أرادت عذراً مقبولاً أمام العالم يمنعها من التدخل، أو تخلي مسؤوليتها أمام شعبها فتحمّل المسؤولية لأعضاء البرلمان الذي كان بعض منهم يضغط على الحكومة ويطالبها

بالتدخل في حال سقط النظام من الضربة الأولى. وفعلاً شهدنا رفض البريطانيين المشاركة في الضربة، وأصبح الأمريكي منفرداً في زاوية ضيقة، وقرر الأمريكان إيجاد منفذٍ للخروج من عنق الزجاجة. فحوّل اوباما القرار إلى التصويت في الكونجرس الامريكي. وبدأوا بإذاعة الشائعات سلفاً بأنّ الكونجرس قد لا يصوّت على القرار، وهذا ما يدفعنا لأن نقول أنه قد اتخذ القرار الأمريكي الذي يقضي بعدم توجيه الضربة. وهنا أصبح الأمريكي في حيرةٍ من أمره، فهو أمام خيارين أحلاهما مرّ: فإن هم قاموا بتوجيه ضربة عسكرية للنظام وسقط، فهذا سوف يُفشل خطّتهم التي تنصّ على استمرار الصراع. وإذا لم يوجهوا ضربة فإنّ هيبة أمريكا -التي طالما تغنّى بها ساستها- سوف تضيع. فما هو الحل؟ الحلّ هو: رمي الطّعم للدّب الروسي الذي لا يفقه شيء سوى الأكل والنوم، وهذا ما حدث بالفعل. حيث قام جون كيري بإطلاق تصريح بشكل غير مباشر، ومن فرنسا تحديداً بأنّ الولايات المتحدة هدفها من الضربة عدم استخدام الكيماوي مجدداً، ولو ضمنت أمريكا إتلاف السلاح الكيماوي، لما احتاجت مع حلفائها لتوجيه ضربة لنظام الأسد. وهنا وضع جون كيري الطعم للدّب الروسيّ، وبقي استدراجه عليه. وبعد ساعة من تصريح جون كيري، خرج متحدث من البيت الابيض وأدلى بتصريح ينافي تصريح جون كيري تماماً وقال ان جون كيري قال رأيه الشخصي ولم يكن تصريحه قرار. «او بما معناه». وهذا التصريح كان لاستدرج الدب الروسي إلى الطّعم، وهذا ما حدث فعلاً.

حيث رأت روسيا أنّ هناك بارقة أمل يجب استدراكها والتمسك بها قبل ان يُصعّد الأمريكان ويغيّروا رأيهم، فجاء سيرغي لافروف وزير الخارجية الروسي منبطحاً تحت أقدام السّاسة الأمريكان، وهو يتقدم بمبادرة نزع الكيماوي متمسّكاً بالتّصريح الأوّل الذي أطلقه جون كيري، ومتجاهلاً للتّصريح الثاني الذي أطلقه المتحدث باسم البيت الابيض. وهنا تنفّس الأمريكان تنفّس الصعداء بعد أن استطاعوا الخروج من عنق الزجاجة بفضل وجود الدّب الروسيّ.

لو نظرنا للواقع نظرة موضوعية، فإنّنا نرى بالأفق إشارات تدل على أنّ الأمريكان قد اتخذوا القرار بعدم توجيه ضربة لنظام الأسد قبل المبادرة الروسية. والدليل أن اوباما حوّل القرار

وزير الخارجية الروسي مع نظيره السوري

إلى الكونجرس للتصويت دون الحاجة لفعل ذلك. ولو بقي الروس صامتين ولم يتقدموا بأية مبادرة لكانوا أحرجوا الأمريكان، ودفعوهم للقبول بأقل من تفكيك الكيماويّ مقابل تقديم مبادرة روسية، ولأصبحت المبادرة الروسية تُقدم بثمن يدفعه الأمريكان. خاصّة، بعد أن أصبحوا عاجزين فعلاً عن توجيه أيّ ضربة لنظام الأسد، ولا أقصد العجز العسكري هنا، بل أقصد تخوفهم من انهيار النّظام بسرعة، وبالتالي ضياع كلّ ما خططوا له، وكل ما أنجزوه.

ولكنّ الغباء الرّوسي هو الذي جعل الأمريكان يحصدون شهرة عالمية في الذكاء السّياسي، وهنا لعب الغباء الرّوسي دوراً هاماً في تغيّر المعادلة السياسية تماماً. وبذلك تكون الولايات المتحدة الأمريكية حصدت النتائج التالية:

١.خرج الامريكان من عنق الزجاجة بتحقيق انجازات استراتيجية تفيد أمن اسرائيل بالمستقبل، ألا وهو انتزاع الكيماويّ.

٢.حافظ الأمريكان على الهيبة الأمريكية التي يتفاخرون بها، وأبقوا سفنهم في حوض المتوسط كي يقولوا للعالم لولا القوة الأمريكية لما انتزعنا السلاح الكيماوي، والتصريحات كثيرة من هذا القبيل، والكلّ سمعها.

٣.حافظوا على إبقاء النظام السوري في مكانه حتّى يكمل مهمته لحين إنهاء مراحل الخطة الأمريكية القاضية بتدمير سورية كاملةً، بواسطة عميلهم النشط بشار الأسد.

٤.زيادة الحقد في قلوب السوريين على الساسة الروس وبالتالي توسعة هوّة الخلاف بين الطرفين.

٥.إطالة فترة الصراع إلى مرحلة أطول حتّى تقوم الحكومة السعودية بإكمال مرحلتها القاضية بإضعاف الإسلاميين، وإنهاكهم. وبذلك تكون الولايات المتحدة الامريكية جهّزت البديل.

في نهاية البحث أرغب بالاشارة إلى موضوع مهم جداً، ألا وهو أنّ أمريكا لن تسمح للسعوديين بإسقاط نظام الأسد، وكل ما هو مطلوب منهم الآن هو إضعاف دور الإسلاميين فقط.

والدّليل هو ما شاهدناه من تكرارٍ لسيناريوهات الاشتباكات بين الجيش الحرّ، والكتائب المرتبطة بالقاعدة، والهدف من ذلك إضعافها والقضاء عليها. ولو قمنا بعملية «فلاش باك» فسوف نجد أن تصريحات سليم إدريس، وساسة المعارضة السورية، كانت كلّها تنحصر ضمن تسليط الضوء على الإسلاميين من خلال القول أنّ جبهة النصرة هم أبناؤنا، وإخوتنا وغيرها من الشعارات المهترئة. بينما تحولت كلّ تصريحاتهم إلى تصريحات هجومية على القاعدة، وعلى تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام، وعلى النّصرة بعد ان استلمت السعودية ملف الدّعم السوريّ.

وهنا كبرت هوّة الخلاف بين الطرفين، وازدادت الاشتباكات بين الجيش الحرّ والإسلاميين، وهذا دليل على ما ذكرته سابقاً.

بالنّهاية: هل السّعودية قادرة على إسقاط النّظام والإسلامين معاً؟ كيف تستطيع فعل ذلك؟ هل هي قادرة على إسقاط النّظام، أم أنّ مطلوب منها مهمة محددة، وهي إضعاف الإسلاميين فقط؟

أسئلة برسم الإجابة، قد يجيب البعض عليها بكلمتين، إلاّ أنّها تحتاج لبحث كامل أيضاً، وسأحاول كتابته قريباً إنْ شاء الله.

الضّوابط وحدها تحكم بين الحرّية والفوضى

عبد العزيز قادر

نص مسماري لشريعة حمورابي

لا شَكّ بأنّ التّجمّعات البَشريّة خَاضَت الكَثير منَ الصّراعَات، ووَاجَهت الكَثير منَ الصُّعوبات منْذ نَشْأتها، وعلى جَميع الأَصْعدة، وكَانَت تَتنبّه في كلّ مَرْحلة إلى ضَرورة إيجاد الحُلول لمَشَاكلها المُتجدّدة، والتي كَانَت تَتولّد في خَطّ سيْرٍ مُتوازٍ في صِراعٍ مُسْتديم مَع الرّغْبة، وبِإلْحاحٍ شَديدٍ كانَت البَشريّة تُبْديهما وهيَ تُدافِع عنْ وُجودها، لتُحَافظ على اسْتمراريّة الجنْس البَشريّ. وكانَ ذَلك منْ خِلال البَحْث عنْ السُّبل التي تُنظّم أَفْرادها، وإمْدادها بالقوّة التي تُمكّنها منْ تخطّي الصُّعوبات التي تَعْترضهم، إلى أنْ تمكّنوا منَ الوُصول إلى صيَغٍ مُحْكمة منَ الضَّوابط، والآليّات، تَجْعلهم أَكْثر قُدْرة على الصُّمود لبناءِ حياةٍ تَسُودها الأُلْفة، والتّعايش، ومَنْ ثمّ تَرْجمتها إلى وَقَائع عَمليّة لتَأْخذ تلْك الضَّوابط- بعْد ذلك- مَنْحنىً جَديداً في حَياة البَشريّة مِنْ خِلال تَنْظيمها، وتَعْميمها على شَكْل قَواعد، ونُصوص مُدوّنة. كَما في لَوْحات الاِثْني عَشر في روما عَام ٤٤٩ ق. م، وقَانون حمورابي الذي حَكم بلادَ ما بَيْن النَّهْرين بَيْن عامَيْ ١٧٩٣-١٧٥٠ ق. م، حتّى وَصَلت إلى مَا عَلَيْها اليَوْم، عنْدما أَصْبح للقَانون فُروعٌ وأَقْسام شَمَلت جَميع نَشاطات الإنْسان.

انْطلاقاً منْ حِكْمة العَالم أَرسْطو التي تقول:(إنّ الطّابعَ الذي يُميّز المُجْتمع السّياسيّ، ويَفْصل بَيْنه وبَيْن أيّ مُجْتمع آخر، هُو طَابع الخُضوع للقَانون والعَدْل). وبَعْد البَحْث فيها تُصادفُنا أَسْئلة كثيرةٌ: أينَ نحْن منْ ذَلك المُجْتمع السّياسيّ؟ أليْس القَانون هو الذي يُنظّم الحرّيات في جَميع الأَنْظمة، والشّرائع القَديمة والحَديثة، أمْ نحْن نَقع خَارج تلْك المَنْظومة ولا يَشْملنا قَوانينها بتاتاً؟ وإذا سلّمْنا جدلاً بأنّنا خَارج تلْك المَنْظومة، فأيْن هي القَوَانين والأَعْراف التي تَحْكمنا؟ والمَعْروف لدى الجَميع، أنّ القَوانين نِتاج الشّرائع، والدّيانات، والأَعْراف، والقيَم والتّقاليد السّائدة في المُجْتمعات، وهي آراء الفَلاسفة والعُلماء، وأَيْضاً منَ الطبيعَة البَشريّة اسْتُخلص قَدْر منَ القَوانين، بمَعْنى أنّ القَوانين هي نتاجٌ إنْسانيٌّ خالص. فأيْن نَحْن منَ الحرّية التي ندّعيها صباحَ مسَاء، وعلى مَدار السّنة؟ وهلْ يُعْقل إذا أَرَدْنا أنْ نَصل بمُجْتمعنا إلى مصافِ المُجْتمعات الحَضاريّة يَتحلّى بحُسن المُعَاشرة، تَسُودها الحرّيات دونَ أنْ نُحصّن بُنْيانها بالقَوانين التي هي الرّئة التي تَتنفّس منْها الحرّية؟ هلْ مازِلْنا نَتخبّط في أَقْبية العُصور البدائيّة، ومَا زَالت المَشاعة تَحْكم حياتَنا؟ يَقول شيْشرون :(إنّما نَكون عَبيداً القَانون، لنَصيرَ بالقانونِ أحْرارا). وقَوْل شيْشرون هذا إنْ دلّ على شيْء فَهو يدلُّ على وجودِ تَناغم وتَآلف ما يكْفي لنَتشبّث بالقَانون الذي يَضْمن لنا الوُصول إلى الحرّية التي نَتطلّع إليْها، لأنّه السّلاح الذي يُحقّق للإنْسان إنْسانيته، ويُبْعده عن الاتكالِ على السُّلوك الهَمجيّ الذي يُحوّل المُجْتمع إلى غابةٍ يَأْكل القَوّي فيها الضّعيف، ويَتسبّب في الصّراعات والفَوْضى، ومنْ ثمّ الهَلاك الحَتْميّ، دُون الوُصول إلى أدْنى دَرجات الحرّية التي طَالما نَتعطّش اسْتنشاقها.

ولأَجْل بناءِ مُجْتمع يَسُود فيه القَانون، ويَتمتّع الأَفْراد فيه بالأَمْن والحرّية، ويَضْمن للجَميع حُقوقَهم المَشْروعة، لا بدّ منْ تَنْظيمه قَانونيّاً، واحْترام الحرّيات العامّة والخَاصّة مُراعياً الجَانب العَام على الخاصّ. يُمَارس الفَرْد حرّيته ضمْن ضَوابطَ اجْتماعيّةٍ ودينيّةٍ وأَخْلاقيّة، بحَيْث تَقف حرّية الفَرْد عنْد حرّية الآخر، دُون أنْ تَطْغى عليْها أوْ تَتسلّل إلى حُدود الغيْر، وقدْ جَاء في إعْلان حُقوق الإنْسان والمُواطن الصّادر عنْ الثّوْرة الفَرنسيّة عامْ ١٧٨٩م، تَعْريفاً للحرّية، جاءَ فيه :(الحرّية، هيَ القدْرة على عَمل كلّ شيْء لا يَضرّ بالآخرين)، ليَأْتي بعْد ذَلك دوْر السّلْطة السّياسيّة كَانت أمْ الاجْتماعيّة التي بيَدها مَقَاليد الأُمور، وتَقوم بمُوجب القَوانين عَلى تَنْظيم الحرّيات والحُقوق، وحمايَتها.

الحرّية إذنْ لَيْست شِعاراً نَجوب بِها في حِلّنا وترْحالنا، أوْ فيها ما يُبرّر بأنْ يَتصرّف كلّ فَرد كَما يَحْلو لَه،إنّما هي التّعْبير عمّا يَدور في خَلجات النُّفوس منْ خِلال تَرْجمتها إلى الوَقائع بمَا لا يَضرّ الآخرين، وضمْن ضَوابط تَسْمح بها الأَخْلاق والقَانون، واعْتماد الأَسَاس الذي يُميّز كلّ مُجْتمع عن الآخر مع الأَخْذ بعيْن الاعْتبار التّركيبة الدّيموغرافية، أوْالدّينيّة، أوْالسّيكولوجيّة، أوْالقيَم والعَادات التي تَخْتلف فيما بيْن المُجْتمعات، دُون أنْ نُغْفل طَابع الخُضوع للقَانون لأنّه الفَيْصل الذي يَفْصل بيْن مَدى اسْتيعاب الشُّعوب للحرّية، وبيْن الحرّية بمَفْهومها المُطْلق، فنَمُوذج الحرّية الذي يُلائم البيئَات الغَرْبيّة التي وَصلت إلى المُسْتوى المُتقدّم منْ الحَضارة والمَدنيّة، لا يُلائم المُجْتمع الشّرْقيّ الذي مَازال في الطَّوْر الأوّل من المَدينة، وهذا الاخْتلاف إنْ لمْ يكُنْ جَذريّاً إلاّ أنّ هُناك بلا شكّ فَوارق جليّة، وَلا يُمْكن إخْفائها....

التّضخم في سورية ٢٠٠ ٪ والخبز وحوامل الطاقة يلامس سقف ١٢٠٪

سعيد محمد

في مراجعة تاريخية، والبحث عن نشأة ظاهرة التّضخم في العالم، سنجد أنّ التاريخ لم يشهد حادثة تضخم واحدة عندما كان النقد المتداول بالذهب والفضة، ومع استخدام الفلوس، أواخر عصر الأيوبيين والمماليك، بدأت ظاهرة ما يسمّى بالتضخم التي تستند قاعدته على الارتفاع المستمر في المستوى العام للأسعار، وكان دائماً المستهلك هو الخاسر الأكبر في معادلة التضخم، لأنه يجعل الحياة كريهة من كثرة المشكلات المترتبة عنه.

كانت سورية- ومنذ عقود- تتميز عن باقي أقرانها من الدول المجاور بتحقيق معدلات عالية بالتضخم، ولم تكن هذه الظاهرة وليدة ظروف الأزمة التي تعصف بالبلاد، بل هي نتيجة لسياسات اقتصادية معوقة، فُرضت على البلاد على مدى العقود الأربعة الماضية، وكان قرار رفع سعر مادة المازوت في أيار عام ٢٠٠٨، في إطار ما أسمته الحكومة آنذاك بسياسة التّرشيد، ووقف تهريب مادة المازوت إلى دول الجوار، هو القشّة التي قصمت ظهر المواطن السوري. إذ زادت أسعار المواد الاستهلاكية أكثر من ضعفين، في حين ثبت دخله وقدرته الشرائية ولم يصيبهما أي تطور يذكر، فمراسيم زيادة رواتب العاملين في الدولة، لم تكن سوى أسلوب ناجع في زيادة معدلات التضخم في سورية. خاصة وأنّ سورية كانت تتعرض لموجات متلاحقة من زيادات في الأسعار، لم تحاول حكومة محمد ناجي عطري وضع حدّ لها، أو إيقافها في مستوى معين. بل على العكس، ساهمت في تفعيل هذه الزيادات ودفعها نحو مستويات عالية، بدلاً من تهدئة عملية تصاعد الأسعار والزيادات التي طرأت عليها، والانتقال إلى مستوى أعلى من التضخم. وهذا دليل واضح على أن السياسات الحكومية، كانت تروج لسياسات نفعية مرتبطة برؤوس أموال مجهولة المصدر لفئات محددة من المجتمع ، على حساب السعي بخلق مناخ استثماري صحيح داخل البلاد .

أرقام مضللة

لم يكن يوماً صدور أي رقم عن جهة رسمية ، إلا محل شكّ الكثير من الاقتصاديين، لما يجدون فيه من مبالغة لتلميع من صورة الحكومة، فمعدلات التضخم التي أعلن عنها المكتب المركزي للإحصاء عام ٢٠٠٦ كانت غير صحيحة مقارنة مع الواقع، وكانت سريعة التغيير أيضاً، بدليل أنّ المكتب قد أعلن خلال نفس العام عن نسبة تضخم ١٧,٩٪ لكن المكتب عاد وأعلن في عام ٢٠٠٧ أنّ معدل التضخم عام ٢٠٠٦ كان ١٠,٥٪، أي كانت الأرقام تتبدل بحسب التوجهات.

أرقام صحيحة

في حين اليوم ومع دخول البلاد العام الرابع من الأزمة، فإن أرقام التضخم في سورية، كانت الأقرب إلى الصحيحة، لأنه مهما حاولت الحكومة أن تقوم بتضليل المواطن بأرقامها وما تروج له لسياساتها التقشفية، كان المواطن السوري على دراية تامة بما يحدث على الأرض، وذلك من تآكل قدرته الشرائية، وارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية أكثر من عشرين ضعفاً مقارنة مع سنوات ما قبل الأزمة، فبلغت نسبة التضخم في البلاد التي تعصف بها الحرب ١٧٣ ٪ منذ تفجر الأزمة ٢٠١١، مدفوعة بارتفاع أسعار المواد الغذائية والوقود، بحسب أرقام المكتب المركزي للإحصاء وهو جهة حكومية.

وأظهرت الأرقام التي نشرها المكتب، أنّ مؤشر أسعار المستهلك للعام ٢٠١٣ بلغ ٣٨٧,٩٤، في مقابل ١٤٢,١ للعام ٢٠١٠، ما يعني ارتفاعاً قدره ١٧٣ ٪.

بالتوازي مع ذلك، أوضحت الإحصاءات أن نسبة التضخم بين العامين ٢٠١٢ و٢٠١٣، بلغت نحو ٩٠ بالمئة، في مقابل ٣٧ بالمئة بين العامين ٢٠١١ و٢٠١٢.

وأدى تضاعف أسعار العديد من المواد الغذائية، إلى رفع نسبة التضخم خلال العام الماضي، وبلغت نسبة التضخم في أسعار الأغذية نحو ١٠٧ بالمئة، والخبز والحبوب ١١٥ بالمئة، ونحو مئة بالمئة في أسعار اللحوم والفواكه والبقول والخضار، كما ارتفعت أسعار «الكهرباء والغاز وانواع الوقود الاخرى» بنحو ١١٨ بالمئة خلال العام الماضي، في حين ارتفعت كلفة النقل بنحو ١٠٥ بالمئة، بحسب أرقام المكتب.

تضخم مخيف !

بالمقابل أكد معهد أبحاث أمريكي متخصّص أنّ التضخم في سورية سجل معدلاً سنوياً مخيفاً، حيث بلغ ٢٠٠٪، مذكرا بأن الاهتمام بتهاوي الليرة السورية غطى على كارثة التضخم التي تجتاح البلاد.

معهد "cato" الذي تأسس في ١٩٧٧، أوضح في تقرير له أنه قام باستخدام تقنيات معتمدة؛ لقياس وتقدير حجم التضخم السنوي في سورية، حيث خلص إلى نتيجة مؤداها أن التضخم قفز ليصل إلى ٢٠٠٪، مرفقا ذلك برسم بياني.

وقدر المعهد التضخم الشهري بقرابة ٣٤٪، وهو ما يعكس سرعة التدهور الاقتصادي للبلاد،كما بين المعهد أن الليرة فقدت ٦٦,٢٪ من قيمتها في الأشهر الـ١٢ الماضية.

ويفيد خبراء اقتصاديون أن الاقتصاد السوري تحول إلى اقتصاد حرب، وباتت الأولوية فيه لتأمين المواد الأساسية كالوقود والغذاء، وسط تراجع في نشاط العديد من القطاعات الإنتاجية.

حلول مؤجلة

نعلم أنه في ظل الأزمة التي تعيشها البلاد، لا يمكن أن نتحدث عن حلول يمكنها لجم ارتفاع نسبة التضخم في اقتصاد سوري مشوه، لأن الحلول التي سيتحدث عنها المحللين الاقتصاديين ستتركز على زيادة الدخل القومي عن طريق زيادة معدل النمو المرتبط بشكل مباشر مع الاستثمارات الجديدة، وزيادة فعالية مواقع الإنتاج. وهذا غير محقق أكيد ، كما سيكون الحديث عن حلول في تحسين مواصفات الإنتاج السلعيّ والخدميّ، أيضاً لا يمكن في ظلّ خروج معظم المعامل من عملية الإنتاج وتعطلها.

باختصار لقد بدأ دور الطبقة الوسطى يغيب عن الساحة السورية، وفرز المجتمع إلى طبقتين، وخاصة بعد موجة الغلاء التي اجتاحت البلاد في السنوات العشر الأخيرة وتركزت أكثر منذ بداية الأزمة ٢٠١١، ففرز المجتمع طبقتين، أغنياء ومحدثي النعمة من جانب، وهي القلة. وفقراء وهي الغالبية العظمى. لذلك، فتحسين الوضع المادي والإنساني للمواطن السوري، لا يأتي إلا ببداية العمل على توسيع قاعدة الدخل، وإعادة توزيعه من جديد، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وهذا لا يمكن أن نصل إليه في الوقت الراهن ، طالما يوجد سياسات حكومية، تستند في بوصلة عملها على تحقيق المنفعة لفئات محددة من المجتمع، على حساب شريحة كبيرة من الشعب.

بين زبدة الشّعب وعيونه .. بندقيّة ... حلقة -٢-

د. عبد الفراتي

عملة سورية

كُنّا قَدْ انْتهيْنا في الحَلقة الأُولى مِنْ هذا المَحْور الاقْتصاديّ مِنْ سَرْد أَلْواح الزّبْدة، أَعْني مِنْ سَرْد مُنْجزات التّنميّة الاقْتصاديّة الضّخْلة التي تَرَاكمتْ في الاقْتصاد السّوريّ عبْر سِلْسلة زَمنيّة طَالت لأكْثر مِنْ أَرْبعة عُقود، كَانَ ذَلك اخْتيارُ الزّبدة عَلى حِساب البُنْدقيّة. أَمّا حَديثُ البُنْدقيّة، فالحَديثُ يَطولُ وَيَطولُ، ويَبْدو أنّه-في المَدى المَنْظور- حَديثٌ باقٍ ومُمْتد.

لَنْ نَعودَ إلى العُقودِ الأَرْبعة كَاملةً لِنَسْردَ حِكايةِ البُنْدقيّة، فَحَرارةُ السّنَوات الثّلاث الأُولى مِنْ عُمْر الثّوْرة كَفيلةٌ بِإذابَة أَعْتى مَصَانع الزّبْدة لأَقْوى اقْتصاديّات العَالم، ولِذا فَسنصْعد سُلّم مِقْياس الحَرارة الرّصاصيّ دَرجةً دَرجة مُنْذ بِداية الثّوْرة وُصُولاً إلى عَتَبة الانْصهار.

بِدايةُ الحِكاية تَعُود إلى ايْديولوجيّة العَسْكرة التي صَبَغت الاقْتصاد السّوريّ مُنْذ سَبْعينيّات القَرْن المَاضي، ووِفْقاً لِهذا النّهْج فإنّ جزْءاً هامّاً مِنَ المُوازنة العَامّة للدّوْلة تَذْهب للمَجْهود الحَرْبيّ على اعْتبار أَنّ سُورية هيَ دَوْلة مُواجَهة خُرافيّة. تَطوّر هَذا الجزْء لِيَتحوّل لاحِقاً إلى المَجْهود الأَمْنيّ والحِزْبيّ، ولتُصْبح المَوَارد الاقْتصاديّة عِهْدة أَمْنيّة تَحْرسها «أيَادٍ أَمينة»، ويَذْكر مَعْهد بُحوث الدّراسات، أَنّ الرّقَم المُخصّص للمَجْهود الحَرْبيّ لا يَتَجاوز الـ٧٪ مِنَ النّاتج القَوْميّ للبِلاد، وهُو أَمْر يَدْعو للسّخْرية قَبْل أَنْ يَكونَ للدّهْشة، فالمِلْيارات مِن اللّيرات التي صُرِفت وتُصْرف على آلة الحَرْب وعَلى امْتداد الجُغْرافيّة السّورية تَحْتاج وبالأَرْقام التّقْديرية فَحسْب، إلى أَكْثر مِنْ نِصْف الإنْتاج القَوْميّ، أَيْ مَا يُنَاهز الـ ١٠ مِلْيارات دولار على أَرْقام عَام ٢٠١٠. كَما تُشير بَعْض التّقْديرات مِنْ تَقارير أُمَمية -كتَقْرير الاسكوا مُؤخّراً- إلى أَنّ الحَرْب إذَا اسْتمرّت عَاماً آخَراً (أَيْ إلى ٢٠١٥)، سَيكونُ النّاتج القَوْميّ بِرمّته في خِدْمة الدّيْن العَام، وسَتَقع البِلاد في شَلل نَقْديّ مُبَاشر، وتَتحوّلُ إلى مَدْيونيّة صِرْفة.

لَيْس ذَلك سوى الدّرجة الأُولى مِنْ مِقْياس الرّصَاص، إذْ تَسْتمرّ الحَرْب مُنْذ ثَلاث سَنوات ومَعَها يَسْتمرّ النّزْف الاقْتصاديّ مِنْ كلّ جَانب، فالجَيْش والشّبيحة ومَنْ في حكْمهم يَتقَاضوْن لِوحْدهم مَا يُقارب ٣٠٠ مِلْيار ليرة، هَذه النّفقاتُ الطّارئة على المُوازنة لَمْ تَكُن بِهذا الحَجْم يَوْماً، فَلا يُخْفى عَلى أَحدٍ فَسادُ المُؤسّستيْن العَسْكرية والأَمْنيّة، وطَوابيرِ الرّواتب والأَسْماء الوَهميّة التي تُقْبض شَهْرياً وهي عَلى الوَرَق، كَمَا يَقْبض مُعلّمو التّربيّة الوَهْميّون عَلى ذَات الوَرق. هَذا لَيْس بِجَديد، الجَديد هُو حَجْم الوَرق وامْتدادُه، فالأَعْداد المُغطّاة حَديثاً بِمَجْهود «الحَرْب الجَديدة» تَحْتاج إلى مَوارد مَوازنيّة جَديدة، فإذا ما أُخِذ بالحِسْبان أَنّ كَثيراً مِنَ المَوَارد الاعْتيادية للمُوازنة قَدْ خَرَجت مِنْ رقْبة وزَارة المَاليّة، وانْتقلَت إلى جَانب المُعَارضة، فالحلز الوَحيد البَاقي هُو الوَرَق (أَيْ الطّباعة لإصْدار نَقْديّ جَديد) يُغطّي كُلّ هَذا الجنُون المُنْتشر عَلى الأَرْض، لا أَدَلّ عَلى ذَلك مِنْ عَام ٢٠١٣ الذي وَصَلت مُوازنتُه لِما يُقَارب ١٣٠٠ مِلْيار ليرة، في حين لَمْ تَحْصَل وزَارة المَاليّة مِنْها سِوى ٦٣٠ مِلْيار فَقَط، ومُوّل البَاقي طِباعةً أَغْرقت البِلادَ بِأَمْواجٍ مِنَ العِمْلة الوَرقيّة بِغِطاءٍ دَمَويّ، لا ذَهبيّ.

وتِلْك كَانتْ الدّرجة الثّانيّة في المِقْياس الرّصَاصيّ. أَمّا الدّرجة الثّالثة فَتخصّ قُوّة العَمَل السّورية، وَهي تَعْني «اصْطلاحاً» القَادرينَ عَلى العَمل والرّاغبينَ بِه مِنْ إجْمالي السّكان، وكُنّا قَدْ ذَكرْنا في الحَلقة المَاضيّة أَنّ رخْص الأَيْدي العَامِلة السّورية ومَهَارتها الفّائقة قِياساً إلى مَثيلاتِها شَكّل عامِلاً مُهمّاً لِجَذْب الاسْتثْمارات نَظراً لانْخفاض تَكاليف تَشْغيلها، لَكنّ سُخونَة البُنْدقيّة لا تَسْمح لِتلْك الأَلْواح الزّبديّة بالبَقاء، فَقَدْ لَفتتْ بَعْض التّقارير المُخْتصّة، أَنّ نسْبة السّوريين المُؤهّلين للعَمل والرّاغبين بالهِجْرة مِنْ ذَوي المُؤهّلات الجيّدة قَدْ جَاوزَت الـ١٦٪ مِنْ إجْمالي قُوّة العَمل خِلال العَامَيْن الأَوّليْن للثّوْرة فَقطْ، وَهَذا الرّقَم مُرشّحٌ ليتَضاعَف مِراراً مَعْ تَتَالي أَعْوام الحَرْب، وهُو مَا يُهدّد بخَواءِ البِلادِ مِنْ صنّاعها المَهرة، ويُذكّر بِأيّام الغَزَوات القَديمَة حينَ سَاقَ جِنْكيز خَان أَمْهر الصنّاع مَعَه لتَزْيين عَاصمتِه وَتَرَك البِلادَ خَراباً في خَراب.

ومَعْ خُروج نَحْو ٤٠٪ مِنْ قُوّة العَمَل خَارج الخدْمة نَظَراً لانْتشار البَطالة، تَتَبادر إلى الذّهْن نِسَب الإعَالة المُرْتفعة التي يُغطّيها العَاملونَ لِعَوائلهم حَيْث بَلَغت في سُورية نحو ٤،٤ ٪ لكلّ عَامِلٍ، وهي نِسْبة عَاليّة بالمُقَارنة مَع مَثيلاتها مِنْ الدّول المُجَاورة ، تُعزّزها سيَاسَة تَحْديد النّسْل المَفْتوحة عَلى مِصْراعيْها أَصْلاً، مَا أَدّى لِتَفاقم المَأْساة وانْتقال أَثَرها خَارج قُوّة العَمَل، ويَعْمل مُعْظم مَنْ حَالفهم الحَظّ بأَكْثر مِنْ ١٦ سَاعةَ عَمَلٍ يَوْمياً، وفي اخْتصاصاتٍ بَعيدةٍ عَنْ عَملِهم الأَصْليّ، ويُسبّب ذَلك مَا يُعْرف اصْطلاحاً بالبَطالة الاحْتكاكيّة النّاتجة عَنْ تَغيّر العَمل وتَنقّل العَامل مِنْ مِهْنة أُخْرى وانْخفاضُ إنْتاجيّته بالضّرورة، مَا يُفْضي إلى انْخفاضٍ لاحقٍ في النّاتج القَوْميّ الإجْمالي للبِلاد. يُعزّز كلّ ذَلك التّضخم المُفْزع الذي ضَرَب كلّ مَرَافق الحَياة الاقْتصاديّة والاجْتماعيّة، ووَصَل لِمسْتوياتٍ قِياسيّة تَجاوَزت الـ ٢٠٠ ٪ وأَكْثر، فيما يَخصّ الغذائيّات عَلى نَحْوٍ خاص. وَإنْ كَانَ كلّ ذَلك لا يَكْفي فَقَدْ عزّزتْه السّياسَات الخَاطئة التي عَكَفت على التّدْريب الغَيْر مُتوازن واللامُتَناسق مَعْ مُتطلّبات سُوق العَمَل، مَا سَبّب هَدْر المِلْيارات مِنَ اللّيرات

جزافاً، فكان أوضح حَلَقات ذلك التّخبط بَرامج قُروض البّطالة التي أحدثت تغيّراً هَجيناً في بُنْية سُوق العَمَل، فأخْرجت المُؤهّلين عِلْميّاً بشكْل غَيْر مُباشر مِنْ سُوق العَمَل العِلْميّ، لتدْمجهم في أعْمال ونَشاطاتٍ عَضليّة لا تَمتّ لِدراستِهم بِصلة، ولا تُراعي مُتطلّبات التّنْمية الهَزيلة أَسَاساً، وهُو ما أَذَاب التّراكمَ العِلْميّ والمَاديّ الذي أُنْفق عَليْهم في سَنواتٍ خَلَت.

لا يُذكّرني ذلك سِوى بالآيةِ الكَريمة التي تَتحدّث عَنْ امْرأةٍ بمكّة كَانت تَغْزل أَثْواباً رائعة فتُبْقي العُقْدة الأَخيرة، فَتَعْمد إليْها فَتنْسل الثّوْب كلّه قَبْل أَنْ يَكْتمل، فَضَرب الله لَها مثلاً (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا). لَكنّهم نَقَضوا الغَزْل فَكُنا أَنْكاثاً.

ونَسْتمرّ في صُعود دَرَجات الحَرارة فَنَصل إلى المِيزان التّجاريّ وعَجْزه الاسْتثنائيّ، فَلَم يَكنْ المِيزانُ التّجاريّ مِنَ الأُمور التي تَشْغل البَال الاقْتصاديّ قُبيْل الثّوْرة، كَوْنه لَمْ يَتَجاوز الـ ٢٥ ٪، وكَان يُغَطّى نَفْطيّاً حَيْث أَنّ القِطاع النّفْطيّ كَانَ يُدْخل ما يُقَارب تِلْك النّسبة فَيْبقى عَجْزاً بَسيطاً لا يُكاد يُذْكر. لَكنّ الآيةَ انْقلَبت مَع سُخونة البُنْدقيّة، فالصّادراتُ بِدايةً تَوقّفتْ نَتيجة خُروج حَلب خَارج المَشْهد الاقْتصاديّ تَقْريباً، وتَحوّلتْ المِلْيارات التّسْعة مِن الدّولارَات التي كَانَ يدّرها التّصْدير إلى وَاردات صَافيّة، تُضَاف إلى عَجْز الوَاردات الأَسَاسيّ، كَما أَنّ النّفْط قَدْ خَرج عَمليّاً خَارج دَائرة الحسَابَات المَاليّة كَوْن مُعْظم آباره تَحْت سَيْطرة المُعَارضة أَوْ غَيْرها مِنَ الجَمَاعات، كَما أَنّ أَسْواق التّصْدير الأوربيّة والأَمريكيّة، قَدْ أُوصدتْ بِوجْه مَا تَبقّى مِنَ الصّادرات السّوريّة، ولَمْ يَتبقَّ سِوى بَعْض الأَسْواق في روسيا وإيران وفَنْزويلا. وهُو إِجْراءٌ لا يُمْكن اعْتباره سِوى حلاً مؤقّتاً لا يُمْكن التّعْويل عَليْه في ظلّ عَجْزٍ يَنْتهز الـ ٣٠٪ في أَكْثر التّقْديرات تَفاؤلاً، ويَكْفي أَنْ نَعْلم -لِسُخونةِ البُنْدقيّة والأَرْقام- أَنّه ومُنْذ مَطْلع الثّوْرة، امْتنعَت السّلْطات الرّسْمية المَعْنية بذلك عَنْ نَشْر أَيّ إِحْصائيّات أَوْ مُؤشّرات عَلى حَركةِ الاسْتيراد والتّصْدير.

نُواصِلُ السلّم صُعوداً وَمَعه تَزْداد سُخونة البُنْدقيّة ونَذُوب مَعْ زبْدتنا الرّائبة. إِنْ كَانَ المَوْت وَاحداً كَما يَدّعي المُتنبي، فإِنّ لَه أَلَماً يُضاهي أَسْبابه المُتعدّدة جَميعها حينَما يُقْتل المَرْء بسلاحٍ اشْتراه مِنْ عَرقِ جَبينه وضَنى دَمه. لا تُؤْلم القَذيفة (قَذيفة الطّائرة) وهي تَنْهال عَلى المَسَاكن الآمنة قَدْر ما تُؤْلم الـ ٥٠٠٠ دولار التي تُكلّفها كلّ واحِدةٍ منْها، لتَسْتثْمر في الدّم وتُنْتج خَراباً، وأَلَماً، وقَهْراً يَكونُ نَاتجها القَوْميّ الجَديد وزبْدتها السّوْداء الجامِدة، ولا نَمْلك إلاّ أَنْ تُصابَ أَعْيننا بفَوْضى الأَرْقام قَسْراً وهي تُشاهد ٣٢٠٠٠ دولاراً تحلّق في سَماء سُورية يَوْمياً، ويَسْقط مِنْها ١٢ مَلْيون دُولار شَهْرياً ولَيْس في وِسْعنا حَتْماً أَنْ نُحْصي ما يَسْقط ومَا يَتمّ إِسْقاطه ومَا يَسْقط منّا ومَا يَتمّ إِسْقاطه قَسْراً.

تَتَضارب الأَرْقام، وتَتَضارب الإِحْصائيات حَوْل الأَعْداد الدّقيقة لِكلّ شَيْء، تَتحدّثُ بَعْض التّقارير عَنْ ٣٧٠٠ دبّابة وأَكْثر مِنْ ٣٦٠ طَائرة، وعَشَرات الآلافِ مِن الجنُود خَسرها النّظَام في مُحاوَلته قَمْع الثّوْرة حتّى الآن، ويَسْتدلّ البَعْض مِنْ سِجلات الجَيْش بِترْقين قُيود المِئات مِنَ الآليّات تَغْطيةً للْخَسائر.

يُهوّل البَعْض، ويُقلّل البَعْض الآخر مِنْ كلّ ذَلك، أَمّا الرّقم الأَكيد فهُو في أَحْسن الأَحْوال والتّقْديرات خَسارة سُورية بامْتياز ما يُقارب الـ ١٥٠ مِلْيار دُولار، مِنْها ٨٥ مِلْيار حتّى الرّبْع الأَوّل مِنْ عَام ٢٠١٣ وَحْده. وَتُشير بَعْض الدّراسات إلى أَنّ تَكْلفة المَجْهود الحَرْبيّ قَدْ تَصل إلى مِلْيار دُولار شَهْرياً مِنْ كافّة القِطاعات الحَرْبيّة، وهُو ما يَعْني إِفْلاس النّظَام حِسابياً بَعْد ١٨ شَهْراً مِنَ الثّوْرة، بِاحْتساب الرّصيدِ الأَساسيّ للقَطْع الأَجْنبيّ الذي كَانَ مُتوفّراً في البَنْك المَرْكزيّ قُبيل اِنْدلاع الثّوْرة والمُقدّر بِنَحْو ١٨ مِلْيار دُولار.

يَسْتمرّ التّدرجُ صُعوداً عَلى مِيزان حَرارة البُنْدقيّة، ونَزْداد صُعوداً «إلى الهَاويّة»، حَيْث تُشير بَعْض التّقْديرات إلى أَنّ نَحْو ٤٥٪ مِنَ السّوريين قَدْ أَصْبحوا فِعْلاً تَحْت خَطّ الفِقْر العَالميّ (والمُحَدّد بِأقل مِنْ ١،٢٥ دُولار لليَوْم)، قِيَاساً إلى ربْع هَذا الرّقَم قُبيْل انْدلاع الثّورة حَيْث سجّل آخر إِحْصاءٍ رَسْميّ نَحْو ١٢ ٪ مِنْ إِجْمالي السّكان. وَعنْدما نَتحدّث عَنْ ٤٥٪ فَذَلك يَعْني رَقميّاً نَحْو ١٢ مَلْيون سُوريّ يَطُوفون قَسْراً فَوْق أَلْواح زبْدتهم الذّائبة، وقَدْ سَاهَم مُعْظمهم في تَكْوين أَلْواحِها. هُو ذا «تَوْقيت المُسدّس» الذي تَحدّث عَنْه درويش، تَوْقيتُ البُنْدقيّة التي تَقف حَائلاً بَيْن ريتا وعُيون الشّعب، تِلْك هي قصّة الزّبْدة والبُنْدقيّة قَبْل أَنْ تَكون القصّة ايْديولوجيّة سُلْطة حَاكمة هي بِكلّ تَأْكيد خَيار شَعْب عَليْه أَنْ يَخْتار إِنْتاج الزّبدة أَوْ إِنْتاج البُنْدقيّة، هُو دَافِع الضّريبة أَوّلاً وآخِراً، لَيْس ضَريبَة مَاله فحسْب، بَلْ ضَريبة دَمِه أَيْضاً، ضَريبةَ سَنَوات عَملٍ مُضْنٍ وَعَرقٍ شَريف سَرَق في لَحْظة غَفْلةٍ ثَوْريّة وسُلطة تَفْهم اللّغة النّيْرونيّة وحَسْب، بَيْن التّدرج في المَنْحنى -مَنْحنى الزّبْدة / البُنْدقيّة- صُعوداً وهُبوطاً تَتَقافز أَلْواح الزّبْدة، وتَتَطاير رَصَاصاتُ البُنْدقيّة أُفقيّاً وعَمُوديّاً وَمَعَها يَتَطايرُ الشّعْب أَشْلاءً أَوْ إِنْماءً، قَدْ يَغْدو الأَمْر سُرْيالياً عنْد أَحد طَرفيْ المَنْحنى لَكنّهما لَنْ يَجْتمعا في عَشَاءٍ رَبّانيّ أَبَداً.

وزارة الاقتصاد والتجارة _ دمشق

اللاجئات السوريات.. وحيدات مع أسرهن يكافحن من أجل الحياة

عن موقع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين

ترجمة: روز الحمصي

لم تسمع لينا عن زوجها منذ اعتقاله في سورية قبل عامين،

وهي الآن لاجئة في لبنان، تعيش في مخيم اللاجئين مع أطفالها السبعة.

عمان، الأردن، ٨ حزيران/ يونيو (المفوضية السامية لشؤون اللاجئين)

هناك أكثر من ١٤٥٠٠٠ أسرة سورية لاجئة في مصر، ولبنان، والأردن، والعراق. وواحدة من كلّ أربعة من هذه الأسر تُعيلها نساء لوحدهنّ من أجل البقاء على قيد الحياة، بحسب ما يشير تقريرٌ للمفوضية الساميّة لشؤون اللاجئين.

يرفع التّقرير النّقاب عن صراع يوميّ للاجئات سوريةت من أجل تغطية نفقاتهن، ويُسلّط الضوء على معركة النّساء في سبيل الحفاظ على كرامتهن، ورعاية أسرهنّ في منازل مزدحمة متهدّمة، وملاجئ مؤقتة غير آمنة، إضافة إلى الخيام.

تعيش العديد من هؤلاء النّساء تحت تهديد العنف والاستغلال، حيث يواجه أطفالهنّ الصّدمة، والضيق بشكل متصاعد.

بالاستناد إلى ١٣٥ شهادة شخصية، وبالنظر إلى مقابلات أجريت مع لاجئات في فترة الأشهر الثلاثة الأولى من عام ٢٠١٤، وُجد أنهنّ قد أجبرنّ على تحمّل مسؤولية أسرهنّ لوحدهنّ، وذلك بعد أن قُتل أو أُلقي القبض على أزواجهنّ، لتجدن أنفسهنّ في دوّامةٍ من العزلة والقلق والمصاعب.

الصّعوبة الأساسيّة التي ذُكرت من قبل النّساء هي نقص الموارد، فمعظم النّساء يكافحن من أجل دفع الإيجار، وتأمين الطعام، وشراء المستلزمات المنزلية الأساسيّة. وقد اضطر عدد منهنّ بسبب نفاذ مدخراتهنّ إلى بيع خواتم زفافهن. خُمس هؤلاء النّساء دُفعن للعمل، والعديد منهم وجد صعوبة في إيجاد وظيفة، و فقط فئة قليلة منهنّ تلّقت الدّعم والمساندة من بعض الأقارب.

حصلت بعض النّساء على المعونة من بعض المساجد المحليّة، أو الملّاك الذين سمحوا لهنّ بالبقاء دون دفع الأجرة. رُبع هؤلاء يتلقّون المساعدة النقديّة من المفوضية ووكالات الإغاثة الأخرى. ومايقارب الثلثين حصلن على المساعدة بالاعتماد على تلك الموارد، فيما يقول الثلث المتبقي أنهنّ لا يملكن مايكفي من الطعام.

دعت المفوضية السامية لشؤون اللاجئين إلى اتخاذ إجراءات جديدة عاجلة من المانحين والحكومات المضيفه ووكالات الإغاثة، وقال أنطونيو جوتيريس، المفوض الساميّ لشؤون اللاجئين للأمم المتحدة: « إن هروب مئات آلاف النساء من الخراب في وطنهم هو الخطوة الأولى في رحلة شاقة مليئة بالصعوبات». ويتابع جوتيريس: «لقد نفذ كلّ ما لديهن من المال، وهن اليوم يواجهن التهديدات اليومية على سلامتهن، ويُعاملن كمنبوذات لفقدان أزواجهن في هذه الحرب الشرسة. إنه لأمر مخزٍ ، أن يتم إذلالهن لفقدانهن كل شيء».

وقد ذكرت أنجيلينا جولي المبعوث الخاص للمفوضية: «أن اللاجئات السوريةت متماسكات ويظهرن قوة غير اعتيادية وبالرغم من هذا المجتمع المهشم، فإنهن يكافحن ويوصلن أصواتهن في سبيل الحصول على حماية ومساعدة لا يمكن تجاهلها».

الحياة في المنفى لأولئك النساء تعني أن يصبحن معيلات لأنفسهنّ وأسرهنّ بعيداً عن مجتمعاتهن ومواردها التقليدية، الأمر الذي يشكل عبئاً مضاعفاً يدفع بالكثيرات للاعتماد بشكل كلي على المساعدات الخارجية.

٦٠٪ من النساء اللاجئات أعربن عن شعورهن بعدم الأمن، وواحدة من كل ثلاثة منهن تخاف من مغادرة منزلها. نهى، سافرت مع زوجها إلى القاهرة، لكنّه قُتل هناك بطلق ناري أثناء ممارسته العمل. تقول نهى: «لا أريد مغادرة المنزل بسبب الحزن في داخلي، لقد هربنا من الموت في سورية لنجده ينتظرنا هنا في مصر».

وقد اشتكت العديد من النساء من التحرش اللفظي الدائم من قبل سائقي سيارات الأجرة، وسائقي الحافلات والمُلاك، ومقدمي الخدمات، فضلا عن الرجال في المحلات التجارية، وفي السوق، وفي وسائل النقل العام وحتّى في توزيع المساعدات.

وبحسب ديالا التي تعيش في الاسكندرية: «المرأة هي الفريسة الوحيدة في مصر لجميع الرجال». أمّا زهوة التي تعيش في الأردن فتقول أنها تعرّضت لمضايقات من قبل اللاجئين حتى عند جمع كوبونات الغذاء. «كنت أعيش بكرامة، أما الآن فلا أحد يحترمني لأنني لست مع رجل».

وتقول العديد من النساء أنهن تعرضن للاغتصاب، إلا أن العديد لسن مستعدات لمناقشة العنف الجنسي أو العنف القائم على الجنس. تقول نور وهي لاجئة في لبنان :»لن ألجأ لأي منظمة للمساعدة، أفضل البقاء هادئة ووضع الملح على الجرح على أن أخبر أحداً بأي شيء».

إضافة لذلك تشعر معظم اللاجئات بالقلق على مستقبل أطفالهن. تقول دينا، لاجئة في مصر: «لدي ما يدعو للقلق فيما يخص الأمور المالية والمدرسية، ينبغي علي حماية أطفالي وتوفير مستلزماتهم، ومنحهم حب الأم في الوقت نفسه».

وهناك أكثر من ١٥٠ منظمة لتوفير الخدمات والدعم للنساء اللاجئات السوريةت وعائلاتهن. ووجدت الأبحاث أمثلة كثيرة للاجئات من النساء أخذن زمام المبادرة ودعمن بعضهن البعض وعملن على إيجاد حلول لنضالهن اليومي، كما أبرزت أيضاً عدداً من جوانب اللّطف والكرم من قبل المجتمعات والبلدان المضيفة، إلاّ أنّ تلك المساعدة كانت أقلّ من المطلوب.

ودعت الجهات المختصة إلى بذل المزيد من الجهد لمساعدة اللاجئات السوريةت على الوقوف على أقدامهن، وكسب مايكفي من المال للعيش. حيث هناك واحدة من كل خمس نساء تعيش دون زوج مع اطفالها.

وطالب التقرير أيضا الحكومات المضيفة بإيجاد حلول لجمع شمل اللاجئات مع أسرهن، كما تحتاج المجتمعات المضيفة دعما منقطع النظير. وفي ظل العديد من الصعوبات وتصاعد التوتر، تعكس المرأة اهتماماً أكبر في المجتمعات المحيطة.

مع ٢,٨ مليون لاجئ، وملايين المشردين داخلياً، تعاني سورية الآن أكبر أزمة نزوح في العالم. ومنذ بداية ٢٠١٤ تم تسجيل أكثر من ١٠٠٠٠٠ لاجئ سوري في البلدان المجاورة كل شهر، ومن المتوقع أن يصل العدد الإجمالي للاجئين إلى ٣,٦ مليون مع نهاية العام.

وعد من متطرّفي حلب

بقلم: ماتثيو ايكينس
من صحيفة: نيويورك تايمز
٧ / ٧ / ٢٠١٤
ترجمة: نهال عبيد

مقر سابق لتنظيم الدولة الاسلامية ـ حلب ٢٠١٣

فيما أضاء مقاتل من الثّوار مصباحه اليدويّ على أجمّة من البطّانيّات والملابس المتناثرة في جميع أنحاء الطّابق السّفليّ، كنت أتساءل ما إذا كان هذا المكان الذي قضى فيه صديقي سلطان آخر لحظات حياته. إنّه أحمق، فهو يبلغ من العمر ٢٢ عاماً، و كان يعمل في الصّيانة، وقال أنّه كان جزءاً من مجموعة نشطاء سوريين، وصحفيين، ومقاتلين أُلقي القبض عليهم من قبل تنظيم «دولة الإسلام في العراق والشّام»، ونُقل إلى هذا السّجن المؤقت في الطّابق السّفليّ من مشفى سابق.

كان المبنى بمثابة مقرّ لجماعة سنّية متطرّفة في حلب، أكبر مدينة سُوريّة، ولكنّه الآن عبارة عن أروقةٍ وممرّات خالية.

عن طريق الدّرج، وجدنا كابلاً طويلاً من الأسلاك النّحاسيّة المجدولة مع بعضها. التقطها واحدٌ من الثّوار، ولفّها بحركة قويّة، حيث ذكر أحد السّجناء السّابقين الذين كانوا محتجزين هنا بتعرّضهم للتّعذيب.

في الأسفل كانت هناك غرفة بمثابة كافتيريا، مع وجود علامات مكتوبة باللّغة الإنجليزية ممّا يدلّ على وجود الجهاديين الأجانب في صفوف تنظيم دولة الإسلام. وقد كُتب هناك «اتقِ الله! تذكّر أنّه يُراقبك، لذا يُرجى ألاّ تُهمل تنظيف الطّعام بعد أنْ تأكل»، ونصيحةٌ أخرى «إلى الأخوة الذين يرغبون في استقبال أسرهم من خارج سُورية التّنسيق مع مكتب خدمات المجاهدين».

بدأ تنظيم دولة الإسلام في سُورية ، كتنظيم تابع لتنظيم القاعدة في العراق، ولكنّها انشقت عنه في بداية هذا العام بسبب طموحاتها للتّوسّع في سُورية وتأسيس خلافةٍ جديدةٍ لنفسها. وبعد استيلائها المُذهل على مُعظم غرب العراق في الشّهر الماضي، ها هي تدعو نفسها الآن ببساطة: تنظيم دولة الإسلام!.

ولكنّ تنظيم الدّولة غادر حلب، بعد أن أُجبر من قبل ثوّار سورية المحليين على الرّحيل في كانون الثّاني. وهذا الانقلاب العسكريّ، كان واحداً من مجموعة قليلة من الانقلابات التي تُسلّط الضّوء على المُعضلة التي تواجه الغرب: إنّ أفضل الحلفاء المحتملين ضدّ تنظيم الدّولة هم الإسلاميّين السّنة الآخرين.

إنّ المقاتلين الذين رافقوني خلال زيارتي التي استغرقت أسبوعاً إلى حلب في منتصف حزيران، هم أعضاء من الجبهة الإسلاميّة، وهو التّحالف المهيمن لمجموعة من ثوّار المدينة، وجزء كبير من شمال سورية، فالجبهة الإسلاميّة هي الخصم الشّرس والفعّال لتنظيم دولة الإسلام، ولكنّه أيضاً على اتصال غير مباشر مع تنظيم القاعدة، وهي بعيدة كلّ البعد عن «أعضاء التّدريب المناسب للمعارضة المسلّحة السّوريّة المعتدلة» والتي طلبت إدارة أوباما مؤخرا ٥٠٠ مليون دولار من أجل توظيفها في مجال التّدريب العسكريّ والتّمويل.

إنّ مقرّات تنظيم دولة الإسلام في حلب تمرّ فقط من مبنى كبير آخر والذي يعتبر بمثابة قاعدة لواء التّوحيد، واحدة من أكبر من سبع فصائل مقاتلة، والتي انضمت معاً في تشرين الثّاني لتشكيل الجبهة الإسلاميّة. وقد تواجد تنظيم الدّولة في حلب التي تسيطر عليها المعارضة منذ بداية عام ٢٠١٣، ولكن بحلول نهاية العام بدأت التّوترات مع الفصائل المقاتلة الأخرى ووصلت إلى مرحلة الأزمة. ويَعتبر تنظيم دولة الإسلام نفسه دولةً ذات سيادة، ورفض قبول الوساطة لأي نزاع، وقام باختطاف من اعتبرهم نقاده وأعدائه، بما في ذلك الأشخاص الذين عملوا مع الصّحفيين الأجانب، مثل سلطان.

مقرّات الألوية أُغلقت. ففي يوم ٧ كانون الثاني، قام تنظيم الدّولة بهجوم مباغت على مقرّ لواء التّوحيد، وفي اليوم التّالي قامت قوّات لواء التّوحيد بالتّصدّي لهم في جميع أنحاء المدينة، وحاصروا المشفى. وقال القائد الذي قاد الهجوم، والذي يُدعى باسمه الحركيّ أبو أسعد «لقد عزلناهم ومنعناهم من الحصول على أيّ دعم.

وفي حوالي السّاعة الثّالثة صباحاً، كان مقاتلوا تنظيم الدّولة قد حوصروا في المشفى، وبدؤوا بطلب السّماح لهم بمغادرة المدينة، وافق أبو أسعد، لأنّه لا يريد المزيد من إراقة الدّماء. وعندما فتّش أبو أسعد ورجاله المشفى عند بزوغ الضوء، اكتشفوا أنّ تنظيم الدّولة قام بذبح الأسرى. وقال أبو أسعد: «وجدنا مجموعة من الأجساد في كلّ عشرة أمتار، معظمهم أصيبوا بعيارات ناريّة في الرّأس وهم مكبّلين». وقال: «بأنّ الضّحايا كانوا من الثّوار الحقيقيين والصّحفيين والأطبّاء، وعندما عرفنا ماقام به تنظيم الدّولة، تمنينا لو أنّنا لم نسمح لهم بالنجاة أحياء.

بعد فترة ليست بعيدة، عُرضت لقطات سجلها المقاتلون، خمّلوها على موقع يوتيوب، تعرّفت على سلطان بين الجثث.

إنّ المعركة ضدّ تنظيم الدّولة في حلب، هي جزء من الصّراع الأكبر الذي بدأ في بداية هذا العام، بين الفصائل المقاتلة في جميع أنحاء المحافظات الشّماليّة من إدلب وحلب، بما في ذلك القوّة السّوريّة التّابعة لتنظيم القاعدة، جبهة النّصرة،

والتي خاضت معركة ضاريةً لطرد تنظيم دولة الإسلام. وفي المواجهة ظهرت الجبهة الإسلاميّة البارزة، والتي تسيطر على معبر حدوديّ رئيسيّ مع تركيا في اعزاز، حيث لديها مايقدر بين ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠٠ مقاتل، ويُعتقد أنّها أكبر وأقوى تحالف عسكريّ مقاتل في سورية.

فقيادة الجبهة الإسلاميّة سوريةٌ تماماً، وهدفها المركزيّ هو إسقاط «الرّئيس بشّار الأسد» ولها بيانات جيّدة في نظر الحكومات الغربيّة على أمل دحر تنظيم دولة الإسلام دون تعزيز قوّة النّظام السّوريّ. كما أنّ هناك العديد من أعضاء الفصائل الأقوى، بما في ذلك لواء التّوحيد وهو واحد من أكبر الفصائل المقاتلة في ضواحي دمشق، وجيش الإسلام وهو ليس بجيشٍ أيديولوجيّ بشكل خاصّ، وقد كانا حليفين مع الجيش السّوريّ الحرّ المدعوم من الغرب.

لكنّ الجبهة الإسلاميّة أبعد ما تكون عن العلمانيّة -وهي تتلقّى دعم الشّبكات الإسلاميّة بما في ذلك الأثرياء والجهات المانحة الدّينيّة في جميع أنحاء العالم الإسلاميّ، إضافةً إلى الإخوان المسلمين في سورية، وهي جماعة إسلاميّة في المنفى- كما أنّها أكثر إشكاليّة من منظور غربيّ، وواحدة من الأعضاء الرّئيسيين في تحالف، أحرار الشّام، ولها صلات بالقيادة الأساسيّة لتنظيم القاعدة. وتنسّق الجبهة الإسلاميّة كلّ عملياتها بشكل وثيق مع جبهة النّصرة.

وقد أفاد القادة الذين تحدّثت إليهم في حلب، بأنّ الجبهة الإسلاميّة لم تتلقَ أيّ مساعدات عسكريّة مباشرة من واشنطن، أو من الحكومات الغربيّة الأخرى. ولكن يمكنها التّأثير بشكل مهمّ على الغرب من أجل الوضع العسكريّ في سورية مع الاستمرار في تجنّب الجماعات الإسلاميّة. وهي الآن المهيمنة في صفوف الثّوار في ظلّ ضعف وانقسام الجيش السّوريّ الحرّ. وقال ريتشارد باريت، وهو مسؤول سابق في الاستخبارات البريطانيّة: «إنّ الجبهة الإسلاميّة هي حقاً اللاّعب الوحيد في المدينة إذا كنت تريد أن تهاجم تنظيم دولة الإسلام في سورية».

وكان قادة الثّوار في حلب قد رفضوا افتراض أنّ مجموعة الجيش السّوري الحرّ «علمانيٌّ» ومُرتبط بالحكومة في المنفى، ومدعومٌ من الغرب. وقالوا «إنّهم كمثل المنظّمات غير الحكوميّة». وقال أبو بلال، قائدعمليات لواء التّوحيد: «إنّهم يعرفون كيف يقولون ما يُريد المانحَ أن يسمعه». وإذا كانت واشنطن وشركاؤُها يريدون الدفع ضدّ كلّ من الأسد و تنظيم دولة الإسلام في آن واحد، فعليهم أنْ يكونوا أقلّ حساسيّة بشأن اختيار حُلفائهم في سُورية.

كأس غزة _ تصميم جيمو

الهوية والعنف: ماذا حدث، وما أسباب حدوثه، وإلى أين نحن ماضون؟

عبدالرزاق دحنون

١

هل يمكن أن أكون، دون أيِّ تناقض، ليبرالياً، ونباتياً، وصائماً، وباحثاً، ومؤخراً، وعالماً في الآثار، ومُحباً للروايات، ومن مريدي فيلسوف المعرة، ومناضلاً من أجل جياع الأرض، وأحترم أهل الديانات الأخرى، ومؤيداً لقول فولتير (قد أختلف معك في الرأي، ولكني على استعداد لأدافع حتى الموت عن حقك في التعبير عن رأيك)، وطبيعياً في علاقتي مع الجنس الآخر، ومؤمناً ومدافعاً ومناصراً لحق المرأة في العدالة الاجتماعية، ومُحباً للروائي الفرنسي انطوان دي سانت إكسوبري، وأن أكون من أولئك الناس الشاسعين الذين يمدون ظلالهم على آفاق شاسعة، وأن أكون إنساناً على وجه الدقة، وأكون مسؤولاً، وأن أعرف الخجل أمام بؤسٍ لا يبدو أنه يتعلق بي، وأن أزهو بنصرٍ كلّل هامات الرفاق، وأن أُحسّ وأنا أضع حجري أني أُعمّر العالم.

أستعير، في هذه المحاججة، أسلوب الكاتب الهندي أمارتيا صن، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٩٨ لمساهمته في اقتصاديات الرفاهية، وعمله على صعيد نظرية التنمية البشرية ووسائل محاربة الفقر والحرية السياسية.

٢

يؤكد في كتابه (الهوية والعنف وهم المصير الحتمي)، أن هذه النشاطات الجمعية التي ينتمي إليها أحدنا تكوّن شخصيته وترسم هويته، وفي الوقت نفسه ليس فيها ما يمكن أن يُعتبر الهوية الوحيدة لشخصيته. علينا أن نقنع أنفسنا أولاً، ومن ثم الآخر الذي نتقاسم معه أسباب العيش، أن لنا انتماءاتٍ كثيرة منفصلة، و هذه الانتماءات يمكن أن تتفاعل بعضها مع بعض بطرقٍ كثيرة مختلفة. وقد جاء في «الأثر» أن رجلاً سلّم على أبي العيناء، من أهل القرن الرابع الهجري، وكان أعمى، فسأله: من الرجل؟ قال: من بني آدم. فقال أبو العيناء: مرحباً بك، والله ما كنتُ أظن هذا النسل إلا قد انقطع. هل يُعدُّ الانتماء إلى أبينا آدم في عصرنا الحديث طريق نجاةٍ مأمون؟ الناس في هذا العالم يمكن أن يُصنَّفوا وفقاً لانتماءاتٍ متعددة . وبالتالي فإن إنسانيتنا المشتركة تتعرض لتحدياتٍ وحشية عندما توحَّد التقسيمات المتنوعة في مجتمعنا في نظام تصنيفٍ واحدٍ مهيمنٍ مزعوم، يعتمد على الدين مثلاً، أو الطائفة، أو الثقافة، أو الأمة، أو الحضارة. ففي حياتنا اليومية العادية نرى أنفسنا كأعضاءٍ لمجموعاتٍ متنوعة ننتمي إليها جميعاً. وحقيقة أن يكون المرء علمانياً لا يتعارض مع كونه مؤمناً يُصلي في الكنيسة كل يوم أحد، وذلك لا يتعارض مع كونه ينشط في حزبٍ شيوعي ولا يمنعه من أن يكون صديقاً لعدد كبيرٍ من المسلمين، يدخل بيوتهم ويأكل من خبزهم. أيُّ شخص هو عضوٌ في جماعاتٍ مختلفةٍ متعددة – ومن دون أن يكون ذلك تناقضاً بأي شكلٍ من الأشكال- وكلٌّ من هذه الهويات الجمعية التي ينتمي إليها جميعاً هذا الفرد تعطيه هويةً اجتماعيةً تجعله شخصاً مهماً بالفعل.

٣

إن العالم المقسم حسب الهوية أكثر إثارةً للشقاق والنزاع بكثيرٍ من التصنيفات الجمعّية والمتنوعة التي تشكّل العالم الذي نعيش فيه. إن الأمل في أن يسود الانسجام عالمنا المعاصر يكمن إلى حدٍ كبير في فهمٍ أوضح لتعددية الهوية الإنسانية، وفي تقدير حقيقة أن البشر يستطيعون أن يصلوا إلى بعضهم، وأن يعملوا ضد فصلٍ حادٍ بينهم على أساس خطٍ واحدٍ متصلّبٍ من التقسيم الذي لا يمكن عبوره. لنأخذ على سبيل المثال أهل الصين، تجدهم يعتنقون إلى جانب الأديان الرئيسية في تاريخ الصين، وإلى جانب التاوية المحليّة، هناك البوذية والإسلام والمسيحية التي دخلت الصين من خارجها. مع أن الكونفوشيوسية احتلت مكانةً حاكمةً وسُميت بالدين الكونفوشيوسي، فإنها ليست ديناً حقيقياً. الصين تختلف عن بعض الدول في موقفها تجاه الأديان، ففي الغرب المسيحي والعالم الإسلامي كان وما زال تقسيمُ المذاهب الدينية صارماً، حيث لا يمكن للشخص الواحد أن يؤمن بدينين معاً، بل لا يمكنه أن يشترك في طائفتين لدينٍ واحد. في الصين يمكن أن تتعايش الأديان ويستفيد بعضها من بعض. فقد شهدت البوذية والتاوية تطوراً كبيراً في الصين، وسميتا مع الكونفوشيوسية «الأديان الثلاثة الكبرى». وأخذ كلٌّ منها بعض أفكار الدينين الآخرين، فأصبح الجمع بين الأديان الثلاثة اتجاهاً تاريخياً ضرورياً، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى يمكن أن تتعايش هذه الأديان في قلبِ الشخص الواحد، فيمكن أن يكون المرء بوذياً وتاوياً معاً ويكون تابعاً للكونفوشيوسية أيضاً. ونادراً ما نجد في مكانٍ آخر في العالم مثل هذه الروح المتسامحة في استيعاب الأديان.

٤

يسأل المفكر الهندي أمارتيا صن: هل يؤدي التحليل القائم على الدين لشعوب العالم إلى طريقةٍ مفيدةٍ في فهم الإنسانية؟ يؤكد: لابد أن أحتجَّ هنا بأنه لا يفعل، فربما تكون تلك طريقة تصنيفٍ تتسم بترابطٍ منطقيٍّ أكبر عن التصنيف الحضاري، لكنها ترتكب الخطأ نفسه في محاولة رؤية البشر على أساس انتماءٍ واحد، أي الانتماء الديني. ومثل هذا التصنيف يمكن أن يكون مفيداً إلى حدٍ ما في سياقاتٍ كثيرة، على سبيل المثال، في تقدير اختيار أيام الإجازات الدينية، أو تأمين سلامة أماكن العبادة. لكن اتخاذ ذلك أساساً رئيسياً للتحليل الاجتماعي والسياسي والثقافي بشكلٍ عام سوف يؤدي إلى تجاهل كل الصلات والولاءات الأخرى التي يمكن أن تكون لدى كل فرد، والتي يمكن أن تكون لها أهميتها بالنسبة إلى سلوك الفرد وهويته وفهمه لنفسه. إن الحاجة الماسة إلى ملاحظة الهويات الجمعية للناس وطريقة اختيارهم لأولوياتهم تبقى أهم من إزاحة التصنيفات الحضارية لإحلال تصنيفٍ دينيٍّ مباشرٍ محلها. يمكن أن تكون هناك أيضاً تباينات واسعةٌ في السلوك الاجتماعي للأشخاص المختلفين الذين ينتمون للديانة نفسها، حتى في حقولٍ غالباً ما اعتقد الناس أنها ترتبط بالدين ارتباطاً كبيراً. كانت المواقف المتغيرة من التسامح الديني ذات أهميةٍ اجتماعيةٍ غالباً في تاريخ العالم، وكثيرٌ من التنويعات يمكن أن نجدها بهذا الشأن بين أشخاصٍ مختلفين كلهم يدينون بالإسلام. لا بدّ أن يكون من القضايا الأساسية

كيف يُنظر إلى الكائنات البشرية. هل ينبغي تصنيفهم وفق التقاليد الموروثة، خصوصاً الدين الموروث، للمجتمع الذي يولدون فيه، والنظر إلى تلك الهوية غير المختارة باعتبار أن لها أولويةً آليةً على جميع الانتماءات الأخرى الخاصة بالسياسة والمهنة والنوع واللغة والأدب والمجتمع، وعلاقاتٍ أخرى كثيرة؟

٥

الحق أن كثيراً من القضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة حول ادعاءاتٍ متضاربةٍ لهوياتٍ مختلفةٍ تؤثّر كثيراً في أفكارنا وأفعالنا. لنأخذ قضية الفقر المدقع والتي يمكن بالطبع أن تنتج التحريض على تحدي القواعد والقوانين الراسخة في المجتمع. ولكن ليس بالضرورة أن يعطي الناس الدافع والشجاعة والقدرة الفعلية على فعل أيّ شيءٍ شديد العنف. فالفقر المدقع يمكن أن يصحبه ليس فقط الضعف الاقتصادي بل أيضاً العجز السياسي. ويمكن أن يكون أيّ تعيسٍ جائعٍ شديد الضعف وموهَن العزيمة إلى درجةٍ تُفقده القدرة على النزاع والحرب، بل حتى الاحتجاج والشكوى. ومن ثم ليس من المدهش أن أغلب حالات الإجهاد الشديد وانتشار المعاناة والبؤس كانت مصحوبةً بالسلام والصمت بدرجةٍ غير عادية. والحق إن كثيراً من المجاعات حدثت من دون أن يكون هنالك كثيرٌ من التمرد السياسي أو النزاع الاجتماعي أو الحروب بين جماعات المجتمع. مع أنه يُنسب قولٌ صريح بالتمرد المسلح إلى أبي ذر الغفاري: «إذا لم يجد المرء خبزاً في داره. فالإهمال والتجاهل يمكن أن يكونا سبباً للسخط، لكن شعوراً بالتعدي على الحقوق، والحط من القدر، والمهانة، يمكن أن يكون أسهل في تعبئة التمرد أو الثورة».

مسرح ثوري

زوربا باخوس

وأنا أشاهد إحدى الأعمال المسرحية المحسوبة على الثورة، أو بتعبير أدق مشغولة في إحدى المحافل التي تنتمي للثورة السورية، حيث مظاهر الفن والثقافة كانت حاضرة، من شعرٍ وكلمات وأغانٍ، تتغنى بالسوريين في ثورتهم.

كان من بينهم عدة عروضٍ مسرحية «سريعة-قصيرة» في تكوينها، من بينها «سكيتش» مونودراما يتحدث عن زمن الاضطهاد، ومنه للتغيرات التي طرأت على الجمهورية العربية السورية، لتصبح حسب تعبير البعض الجمهورية السورية حاف، دونما أدلجات (قومية .. عرقية .. دينية ..الخ).

تابعتُ العمل «المصوّر» عبر شبكة التواصل الاجتماعية «فيس بوك - يوتيوب»، كان العمل مونودراما من أداء إحدى الممثلات السوريات، اللاتي واكبن الثورة السورية بأيامها الأولى «سلميتها»، لفت انتباهي ضمن أجواء العرض وسير العمل، والذي خُصص له ديكورٌ مشغولٌ على عجالة، (أحجار مترامية على الخشبة هنا وهناك)، كدلالة على دمار المدن السورية.

قادت الممثلة العمل في بدايته وبأداءٍ متقن حقيقةً، إلا أنها اختارت الصراخ والنواح وسيلةً للتعبير، فمرت بالعمل كله، بنفس الإيقاع ندباً ونواحاً، يشبهان أنيناً متواصلاً على الخشبة، ومنه لمفردات صاخبة، لم نكن من قبل نسمعها جهراً، (شارع الشهداء.. ساحة الحرية.. بيت مدمّر... خراب.. اعتقالات... نظام قاتل.. ظالم.. جزّار... عم يقتل شعب... عم يدبحونا... بدنا حريتنا.. بدنا نعيش... الخ) كدلالةٍ على أن القائد يقمع ويقتل ويهجّر.

استغربت للوهلة الأولى من الشكل الذي اختارته المؤدية، والتشنج والانفعال اللذان تحكما بها حتى آخر لحظات العمل.

بدأت الأسئلة تأخذني لسياقات اللبوس الفني في العمل، والحلول الفنية، بطرحها للمادة-الفكرة، والتي هي حالنا في البلد-سورية، لكن انقذتني العدسة (عدسة كاميرا المصور)، لأشاهد طفلاً صغيراً على ملامحه دهشة أبعد بكثير من الدهشة التي انتابتني، بذكر المفردات التي لم نكن نجرؤا على قولها أيام النظام السوري الذي حكم على صمتنا طيلة الفترة الماضية.

هذا الطفل دفعني لأسئلة أخرى هي جوهر القضية:

«تُرى مالذي أدهش الطفل الصغير»؟!!

مالذي ينتظره في نهاية العرض المسرحي؟!

هل يعي المفردات التي تتسربل في أدراج الصالة من قبل الممثلة «النّواحة»؟

أم هو جائع وينتظر الدقائق العصيبة عليه ريثما ينتهي النواح؟

في الحقيقة عُدت لرشدي وربما للصواب الذي ذكّرني بالالتفافات السابقة التي استخدمناها في مواجهة النظام، كي نمرر معارضتنا له ونحن في عقر حكمه \في ديارنا\وطننا... عبر الأعمال التي قدمناها على خشبات المسرح السوري، كشباب نعي الموقف وخطورة الكلمة التي ننطق، في زمن دولة أمنية تساهم في بقاء نظامٍ، يُبقي سُلطته صلبة متينة على شعبٍ اعتاد الجوع والفقر والسكوت .

راحت بي ذاكرتي لمعضلة أو حالة ليس باستطاعتنا نسيانها، حيث كان الأجدر بنا ألاّ نصبح فلسطينيين بالمعنى المجازي في قضيتنا (القضية السورية وثورتها)، فيأخذنا الملل على مضض بطرح قضايانا بهذا الشكل الجهوري المباشر، دونما جوانب إبداعية تمرر للآخر الهم الإنساني، بشكل يقنع المتلقي بأننا خلاقين، ولسنا فقط ناقلي خبر كما المنابر الاعلامية التي ترصد الخبر، أو تنشأها حسب الرغبة، أو الطريقة التي يتبّعها «إمام -خطيب الجامع» فيملّ الحضور- الجمهور الذي يشاهد موتنا ونواحنا وصراخنا في أرجاء المدن المجاورة، كي يسمعنا المُخلّصون وننجو من الظلم والقهر الذي انقلبنا عليه في سبيل كرامتنا.

ربما مادفعني بهذا الشعور هو الإحساس الذي كان ينتابنا غالباً عندما كنا نتابع النشرات الأخبارية عن القضية الفلسطينية، وأيضاً الأعمال الفنية والنشاطات التي كنا نشاهدها بملل أشبه بالقتل، فالتكرار في الطرح وبذات الطريقة، دونما إضافات ذكية، تحيل المتلقي لمعرفة ماهو قادم من يأسٍ وبكاء يعرفه فلا يكتشف جدة وفرادة الأزمة المطروحة .

وربما كي لانصبح فقط قضية سورية مملة للغير، ونصبح أرقام يترصدونها دونما، عمق في كل تفصيل وحكاية هي بذاتها مأساة ترهق ما يجيئنا مستقبلاً، علينا البحث عن أدوات وأشكالٍ فنية تقترب من الإنساني والكوني في تراجيديا وجعنا السوري بعيداً عن المباشرة والتكرار، علينا البحث عن الهم الإنساني الذي يشكل خياراً إنسانياً وهوية لكل البشر في كل زمان ومكان، علينا أيضاً البحث عن الفكرة بين أنقاض بيوتنا المهدمة تأكدوا الصورة وحدها ليست كافية.

ما الذي يستطيع المنطق تقديمه للسوريين؟!

حمزة رستناوي

قد يكون من قبيل المغامرة، أن نرجع إلى علم المنطق في قضيّةٍ اشكاليةٍ ومعقّدة كالثورة السورية، المنطق هذا العلم البارد المزاج وربّما البليد! ما الذي يستطيع تقديمه لنا -نحن السوريون- في مخاضنا الأصعب فيْ التاريخ المُعاصر؟!

هل سيشكّل المنطقيون المشتغلون بالمنطق، كتيبةً تقاتل في صفوف الثورة السوريّة لتحقيق شعار (الله - سوريا - حريّة وبس) والخلاص من الاستبداد؟ أم أنّها ستنضم إلى الجيش العربي السوري في حفاظه على وحدة الدولة السوريّة، والتصدّي للمؤامرات وللإرهابيين؟!

أم أنهم سيضعون أنفسهم تحت تصرّف حملة تبيض المجازر وتلميع صورة الديكتاتور؟!

أم أنّهم سيبايعون الأمير السلفيّ ويتوبوا عن زندقتهم؟!

أم أنّه سينضمون إلى منطق الأمم المتحدة وجماعة القبّعات الزرق، الذين لم يُسمحْ لهم أصلا بالذهاب إلى سوريا؟!

علم المنطق بشكلٍ عام يدرس القواعد العامة للتفكير (الصحيح)، ولا يهتم كثيراً بالجزئيات لنفسها، هو يسعى للبحث وتطبيق صيغٍ قانونيةٍ عامة، وهذا ما أظنّه مفيداً من جهة تقديم مقاربةٍ عامةٍ لقضيةٍ استهلكتها الأحداث والتفاصيل كثيراً، بما قد يحجب الصورة الكلّية. فمثلاً بالنسبة لسكان قريةٍ كرديةٍ في الشمال السوري، تتعرّض لهجماتٍ من تنظيم الدولة الإسلامية قد يكون من الصعب لهم بناء تصوّرٍ عامٍّ عن الثورة السورية والقضية السورية بمعزلٍ عن وضعهم الخاص، ومصيرهم هم بالذات.. الخ، وهذا أمرٌ مفهومٌ جدّاً. وكذلك على سبيل المثال، السوري الذي تعرّض للتعذيب في أقبية النظام الأسدي، قد يصعب عليه بناء تصوّرٍ عامٍ وسياسيٍ شامل، وبمعزلٍ عن التجربة القاسية التي تعرّض لها والرغبة بالانتقام. وكذلك المواطن السوري الذي تعرّض للأذى من قبل جماعاتٍ تكفيريةٍ بناءً على خلفيّة الانتماء العقائدي، سيكون على الأرجح حبيس تجربتهِ متأثراً بخصوصيات وضعه.

علم المنطق، علمٌ معياريٌّ عموماً، يزوّد مستخدميه بمهارات التفكير النقدي، وهو يزوّدهم بتقنية المُعاين الخارجي، ومراقبة القضايا المطروحة من خارجها، من دون التورط فيها عاطفياً، أي أنّهُ ينمّي مَلكة التفكير المنطقي، والعقلاني، وهو ما نحتاجه في زحمة المواقف والسلوكيات القائمة على الانحياز العاطفي وردّاتْ الفعل.

و سأتناول المنطق الأرسطي بالخاصّة كمنطقٍ صوري Formal Logic يهتم بمُعاينة انسجام الفكر مع نفسه، وليس بالمعنى العام لهذا المنطق من حيث اعتماده على الأسس الفكرية والفلسفية، باعتباره منطقاً جوهرانياً يستند إلى مقولة الجوهر، ويرى وجود تمايز جوهراني بين الكائنات.

الحجج الخاطئة تنجم إمّا عن مُعطياتٍ غير صحيحة، وهذه خارج إطار بحثنا بالخاصّة، وإما عن وجود معطياتٍ صحيحة، ولكنْ تكون الحجّة والمحاكمة المنطقية غير سليمة.

و قبل المضي في بحث المغالطات المنطقية في الخطاب السياسي السوري سوف نعرّج على قضية المُعطيات، وما نطلق عليه برهان الحدوث. فمنذ البداية، ما قبل الثورة نحن أمام دولةٍ تحكمها سلطةٌ استبداديةٌ، يديرها نظام شموليٌّ يتحكّم بالإعلام ويحتكر مصادر وحركة المعلومات، وقد تفاقم هذا العيب مع اندلاع الثورة، لدرجة أن الإعلاميين الشباب الذين كانوا يوثقون الحدث كانوا يخضعون لعقوباتٍ قاسية ووحشية تتجاوز ربّما عقوبة المقاتلين. وإضافةً إلى ذلك كانَت كوادر الإعلام المواكب للثورة في معظمها من الهواة غير المختصين، ويعملون في ظروفٍ بالغة الصعوبة، وكذلك وجد بينهم من كانوا منحازين إيديولوجيا، يمارسون الفعل الإعلامي في إطار صراع كسر عظم...الخ. وغنيٌّ عن القول أن النظام السوري لم يكنْ ليسمح بتواجد جهاتٍ إعلامية أو حقوقية أو أممية ذات مصداقيةٍ حيادية نسبياً لتقوم بالتوثيق.

ما قصدتهُ؛ أن ضعف توفّر المعلومات الموثّقة نسبياً وضعف إمكانية اختبار برهان الحدوث، سوف يعطي مساحةً أكبر للتعويل على صوريّة البرهان، وأساليب المُحاججة، وقد يكون برنامج الاتجاه المعاكس على قناة الجزيرة خير مثالٍ على هذا النمط في الخطاب الجِدالي -وليس الجدلي- المليء بالمغالطات المنطقية.

هذا النمط من الخطاب الجدالي ينطلق من النتيجة، ويسعى لتدعيمها بالحجج والأسباب، أي أنه تفكيرٌ مقلوبٌ تبريري. والتبرير المنطقي هو إحدى الآليات الدفاعية – المعروفة جيداً في علم النفس-، والتي يلجأ اليها الفرد عبر تفسير السلوك الخاطئ بأسبابٍ منطقية.

إن نقص المعطيات الواقعية أو تجاهلها أو التشكيك المُطلق بها، أو حتّى تزويرها سيزيد الاعتماد بالتناسبْ على المحاججة المنطقية الشكل، وهذا بحدّ ذاته اشكالية، تجعل أي حوارٍ أو بحثٍ في الثورة السورية والقضية السورية، جسداً فارغاً معلّقاً في الهواء.

فعلى سبيل المثال مجزرة الكيماوي التي حدثت في ريف دمشق آب ٢٠١٣، إنّ إنكار حدوثها أو نسبتها إلى قوات المعارضة والثوّار هو تقديمٌ لمُعطىً غير صحيح وتزويرٌ للوقائع، وكذلك مجزرة الحولة في أيار ٢٠١٢ م، وقد ذكرت هاتين المجزرتين دون غيرهما من سلسلة المجازر، لوجود تقارير وتوثيق دوليّ من جهاتٍ تُصنَّف بكونها ذات مصداقيةٍ كالأمم المتّحدة، ومنظمة العفو الدولية، وهيومن رايتش واتش. إنّ إصرار شخصٍ أو جهةٍ معيّنة على براءة النظام السوري من هاتين المجزرتين على سبيل المثال، سيزيد فرصَ اعتماده على الحجج ذات الطبيعة المنطقية والمغالطات، لتعويض النقص الحاصل في برهان الحدوث، وسيفرّغ أي حوار أو مُحاجَجَة من محتواها الإيجابي كمحاولةٍ لتلمّس الموضوعية وتفهّم وحلحلة المشكلة.

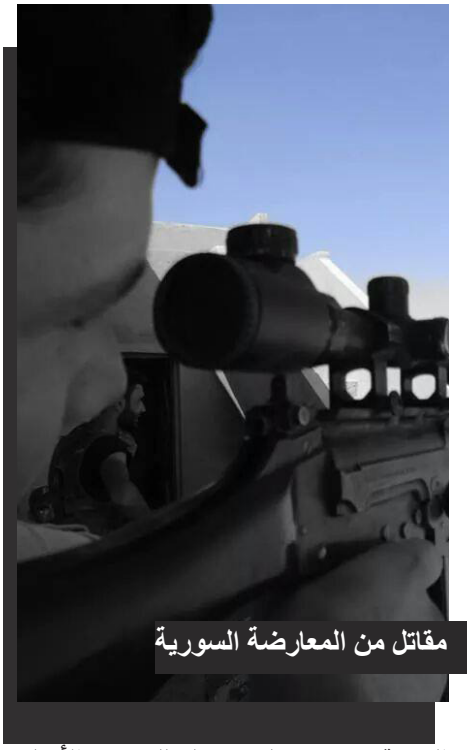

مقاتل من المعارضة السورية

الخيال الروائي والأنظمة الشمولية

رابعة محمد ماجد جلبي

أخفق خيال الكتاب ومخرجي السينما والباحثين في الوصول إلى الحد الذي يصل إليه إجرام البشر بحق البشر، فعلى الرغم من محاولتهم التنبؤ بالفظائع التي يمكن للإنسان أن يرتكبها من أجل الاستحواذ على السلطة، إلا أنهم كانوا دوماً دون ذلك المستوى غير القابل للتصديق واقعياً، وخاصة ما شهدناه راهناً من همجيةٍ ارتكبت وترتكب كل يوم من عنفٍ منظمٍ من قبل الأنظمة الحاكمة في منطقتنا. من هذه الجهود ما قدّمه الروائي البريطاني الكبير (جورج أورويل) في روايته (١٩٨٤) الصادرة عام ١٩٤٩، وهي رواية ديستوبيا أو أدب المدينة الفاسدة*، وهذه الدولة الافتراضية الديكتاتورية ذات الحكم الشمولي (أوقيانيا) التي يحكمها الأخ الأكبر في حربٍ دائمة مع جارتيها أوراسيا وإستاسيا، الرواية تتحدث عن ونستون سميث؛ موظفٌ يبلغ من العمر ٣٩ عاماً، يعمل في وزارة الحقيقة، وهي وزارةٌ لا تمت إلى الحقيقة بصلة، بل مهمتها هي تلفيق الأخبار غير الحقيقية والانتصارات الوهمية للأخ الأكبر، وفي مكان سكنه وهو ككل الأبنية، توجد في غرفته صورةٌ مرسومة للأخ الأكبر وأسفل الصورة عبارة (الأخ الأكبر يراقبك) بشكلٍ بارز.

وفي كل شارع وزاوية توجد شاشة رصد تحصي على الناس أنفاسهم وتحركاتهم وتعبيرات وجوههم للتأكد من أنهم مخلصون للحزب وللأخ الأكبر، وليس لهم ولاءٌ لغيره، يمضي ونستون إلى عمله في وزارة الحقيقة، التي كتب عليها شعار الحزب: (الحرب هي السلام، الحرية هي العبودية، الجهل هو القوة) ص١٠، عباراتٌ تدل على عمل الوزارة الغامض حتى للموظفين فيها، وكان إلى جانب وزارة الحقيقة التي تختص بشؤون الأخبار ووسائل اللهو والاحتفالات والتعليم، وزارة السلام التي تعنى بشؤون الحروب ثم وزارة الحب وهي المسؤولة عن حفظ النظام وتطبيق القانون، ثم أخيراً وزارة الوفرة وهي ترعى الشؤون الاقتصادية، ومثل غيرها لا تمتُّ إلى اسمها بصِلة، كذلك كانت وزارة الحب التي كانت مصدراً للرعب والخوف، يحيط بها سياجٌ من الأسلاك الشائكة، والعاملون فيها يرتدون بزّاتٍ سوداء، ويحملون هراواتٍ مدببة.

وكان ونستون قد اشترى دفتراً مع إنه إجراءٌ يدعو إلى الشبهة، ولكنه أراد أن يستعمله كمفكرة، ولم يكن ذلك يخالف القانون، لأنه لم يكن هنالك قانونٌ في الأصل يحدد ما هي المخالفات. ومع علمه بأنه إذا افتُضح امره فسيعاقب بالإعدام أو السجن لمدة ٢٥ عاماً، إلا أن رغبةً عارمةً للكتابة انتابته، فلم يستطع السيطرة عليها، فأخذ الدفتر وكتب عليه كل ما خطر بباله: ليسقط الأخ الأكبر، ورغم أنه أحس بفزعٍ وخوفٍ من شرطة الفكر، إلا أنه لم يمزق الصفحة، في دقائق الكره التي كانوا يقومون بها بشكل يومي حيث يقومون بالتهجم على غولدشتاين عدو الحزب الأول، حيث كان يتم إلقاء القبض يومياً من قبل شرطة الفكر على جواسيس ومخربين يُتهمون بالارتباط به، كان ونستون يشعر بأن كرهه هو للأخ الأكبر وليس لغولدشتاين، وأن أوقيانيا متفقة مع أوراسيا، وليست في حالة حربٍ معها كما تدّعي، ولكن لا وجود للحقيقة: (فإذا كانت كل السجلات تحكي القصة نفسها فإن الأكذوبة تدخل التاريخ وتصبح حقيقة) ص ٤٣، وهذا ما كان يقوم به الحزب، السيطرة على الماضي للسيطرة على الحاضر والمستقبل، وفي دقائق الكره هذه تعرّف على جوليا وهي فتاة في ال٢٧ من عمرها، سرعان ما تحولت علاقتهما إلى علاقةٍ محظورة؛ علاقة حبٍ مليئةٌ بالمشاعر، أحاسيس وجدها وينستون تستيقظ في أعماقه فجأة، لم يكن يتخيل أنها موجودةٌ داخله من قبل، ، تبادلا حبهما في غرفٍ سرية، قرر هو وجوليا أن ينضما لأخويةٍ سريّةٍ تعمل ضد سلطة الأخ الأكبر عبر شخصٍ غامضٍ اسمه (أوبراين)، وأقسما أن يفعلا كل شيءٍ لمساعدة التنظيم، ولكن أمسكت أجهزة الأمن بالعاشقين، وأُخذا لوزارة الحب من أجل الاستجواب، وأشرف أوبراين بنفسه على تعذيبهما، فانهار وينستون بعد أشهر، ليخون نفسه ويخون جوليا عندما يقول: عذّبوها هي وليس أنا. ويستسلم لعملية غسيل المخ، حيث يتعلّم أن يحب الأخ الأكبر فقط، وألا تكون له أية مصالحَ أو مشاعر فردية، ولا يفكر بشيء لم يسمح له الحزب بالتفكير فيه، وعندها يُطلق سراحه، ويُعتبر مواطناً مثالياً، ولم يعد خطراً على المجتمع، فكما يقول في نهاية الرواية: (لا بأس فقد انتهى النضال، وها قد انتصرتُ على نفسي وصرت أحب الأخ الأكبر) ص ٣٥١.

هكذا ببساطة، وبلغةٍ معبّرة، ومفاهيم سهلة ووضوحٍ شديد في الرؤية، ينهي أورويل روايته بانتصار الحزب على الإنسان، هذه النهاية الأليمة، وهو يقدم هنا نبوءةً مستقبليةً لما سيؤول إليه هذا النموذج، فبمرور الوقت يتخلّص النظام من نقاط ضعفه التي تطيح به عادة، ليكسب أعضاء جدد يسيطر بهم على العامة، وعلى الثورات والانقلابات المحتملة، فالأخ الأكبر يطوّر فكره وطريقة تعامله ليكون نظاماً سياسياً غير قابلٍ للهزيمة.

وقد حُولت الرواية في عام ١٩٥٦ إلى فيلمٍ يحمل نفس العنوان من بطولة john hurt و Suzanna Hamilton، وثمة رواياتٌ تناولت وضع الإنسان ومصيره في ظل هكذا أنظمةٍ شموليةٍ منها رواية (فهرنهايت٤٥١) للاميركي راي برادبري، فالرواية تحكي قصة نظامٍ شموليٍّ يجعل التلفزيون دعايةً سياسيةً له، ويقوم بحرق الكتب على درجة ٤٥١ فهرنهايت، ورواية (مباريات الجوع) للكاتبة الأميركية سوزان كولنز، حيث يتم اختيار ٢٤ ولداً وبنتاً، اعمارهم بين ١٢ و١٨ عام ليتقاتلوا حتى الموت، والفائز هو آخر شخصٍ يبقى على قيد الحياة، بالإضافة لرواية الدوس هكسلي الروائي البريطاني (عالم جديد شجاع)، والتي كانت تتحدث عن سيطرة العلم على حياة الناس، ليتحول العالم الى عالمٍ مملٍّ جامدٍ خالٍ من العاطفة والشعر والجمال. لذلك عُدت رواية ١٩٨٤ روايةً ثوريةً ومنعت في العديد من الدول الشمولية كالاتحاد السوفيتي السابق ودولٍ أخرى.

*ديستوبيا: كلمة يونانية تعني مكان خبيث وهي عكس كلمة يوتوبيا: المدينة الفاضلة.

أسئلة الطفولة والمستقبل

عبدالواحد علواني

في خضم الأحداث وما يرافقها من بلاءٍ وكوارث، وما يصاحبها من سياساتٍ دوليةٍ قذرة، لا نستطيع أن نتبيّن أيّ ملمحٍ للغد، انشغلنا بأنفسنا وخيباتنا عن نواظر أطفالنا، عن أرواحهم الغضة وهي تتحسس ضياعنا دون أن تفهمه، عن أسئلتهم الصامتة التي تتورّم مع مضيِّ الوقت، عن الآمال التي نسيناها، والأمنيات المخنوقة التي نغصّ بها. فهم يتسائلون بينهم وبين أنفسهم عن صحبهم الذين غادر كلٌّ منهم إلى بلاده ليتمتع بالإجازة، بينما هم لا يستطيعون ذلك للسنة الرابعة، وهم الذين اعتادوا أن يتخِموا أصدقاءهم بذكريات الأهل والأصدقاء في الوطن، وعلى الرغم مما نقرؤه في أعينهم، تهون معاناتهم أمام الأطفال المشردين في القفار والمخيمات، أمام الأطفال الذين ينتظرون تحت القصف والخراب الذي قد يحولهم إلى أشلاء في أية لحظة.

قلما كنا نتابع التلفاز، منذ ما يقارب الأربعين شهراً كان هنالك تحولٌ نوعي في علاقتنا به، فالأحداث المتلاحقة والمكثّفة (للربيع العربي) قلما تركت لنا وقتاً للقراءة أو لأي نشاطٍ آخر مما كنا نحرص عليه عادةً، في غمرة انشغالنا، اكتشفنا أننا مع حرصنا على إبعاد أطفالنا عن المشاهد الدموية والعنيفة، أنهم يعيشون هذه الأحداث، بتفاصيلها، وأنهم قد كبروا بغتةً، وأضافوا لأعمارهم الغضة سنواتٍ في أشهر، طفلي الذي كان ينطق كلماته الأولى، كان يصرخ كلما رأى السحنة الغرائبية للقذافي: زنقة زنقة دار دار. وهو يحرك يديه إلى الأعلى، وطفلي الآخر الذي كان يذهب إلى المدرسة لتوّه، كان يردد على طريقة اليمنيين في ساحة التحرير: الشعب يريد إسقاط النظام، مستمتعاً بلحنها. وطفلي الأكبر يسأل أسئلةً قلما تهمّ من هم في عمره، لم نتمكن مع كل حرصنا أن نجنبهم معايشة دراما الثورات التي تتفوق في تراجيديتها على كل الملاحم والحكايات الشعبية والتاريخية، خاصةً في ظلِّ أنظمةٍ عربيةٍ مستعارةٍ من عهود البرابرة والفايكنج والتتار والمغول والحروب المقدسة. مع الأحداث السورية بتنا في خضمِّ هذه الثورات، بتنا نسمع الهتافات الطموحةَ والتي تخفتُ وتعلو على وقعِ معمعة الرصاص وأزيزه بشكلٍ مباشر، مما جعلنا نقرأ في أعينهم هواجس مستجدة. إلا أن الأمر لم يثنِهم عن ترديد: الله.. حرية.. سورية وبس!

سنواتٌ ثلاثٌ ونيّف، والمشاهدُ أقوى من أية صنعةٍ دراميةٍ متقنة، وعلى الرغم من الألم العظيم ثمة أملٌ يبزغ، يقول أحد أطفالي: إذا ذهب هؤلاء (يقصد الحكام) هل سنرتاح من الشرطة؟! أتأمّل هذا السؤال البريء، الذي جعل الأطفال يشعرون بالأمان أكثر إذا غاب الشرطي، مع أن وظيفته هي الحفاظ على الآمان!.

كنا ندرك أن ما نعانيه من ضغوطٍ مختلفةٍ في ظلّ أنظمة القمع يشاركنا فيه أطفالنا بصمتٍ، فيولدُ في نفوسهم الرعب من السلطة قبل تعلُّم القراءة والكتابة.. لم نستطع أن نمنعهم من رؤية مشهدٍ لطفل يعتلي كتف أحد المتظاهرين ينادي بصيحات الحرية والمواجهة، ويرددها من خلفه الآلاف في حماس، ورصاص القناصة لا يستثنيهم، نشاغلهم لنصرفَ نظرهم عن رجلٍ يهرول وهو يحمل جثةَ طفله الذي فقد قطعةً من رأسه تسيل من خلالها بقايا دماغه... مشهدٌ عجزت كل أحداث التاريخ وسرديات المؤرخين وإبداعات الأدباء والشعراء، وخيالات مخرجي أفلام الرعب عن الإتيان بمثيلٍ له.

نسي أطفالنا أغانيهم الطفولية، وباتت قلوبهم تضبط وجيبها على إيقاع أغانٍ مثل: (ياحيف..) و(ويا مصر هانت وبانت).. و(إذا الشعب يوما أراد الحياة) و(معتصمين معتصمين)، لم يعد يهمهم مآل الأمور بين توم وجيري، وهم يلاحقون الأحداث بين أناسٍ عزّلٍ يواجهون أعتى آلات القتل، تلعلع في يد قتلةٍ محترفين في اصطياد الرؤوس الحالمة. لا يستثنون حتى الأعمار الفتية، وهم يقرؤون فجأة على أجهزتهم الإلكترونية أنباء طائراتِ الموت تقصفُ المدن المزدحمة بالأطفال، وهم يسمعون شيئاً من أحاديثنا عن جماعات الموت التي تقتل وتقطع الرؤوس وتصلب الناس باسم النظام أو باسم الدين.

أقرأ من خلالهم طفولتنا البائدة التي سُحقت في معسكرات طلائع البعث، طفولتنا التي شُوهت في ظل القائد الخالد الذي تسلل إلى كل كتبنا ودفاترنا، وحتى نتيجة آخر العام، في كل شارعٍ وحيٍّ ومتجر، وحتى على النقود التي نشتري بها الحلوى، وكأنما علينا ألا نغفل عن ذكره لحظةً واحدة، نردد كل يومٍ عشرات الشعارات المتذللة له، والمخلِّدة لحضوره الأبدي، وكأنه قدرٌ لا يمكن الفرار منه، أتذكر أيام اليفاع يوم كان مدرِّب حصة التربية العسكرية يذلنا ويبطش بنا ليثبت أنه عسكريٌّ جِلد، أتذكر نشيد عاش بعث العرب... ووجه المسؤول الحزبي وهو ينظر إلي شزراً لأني لا أبادر إلى الانتساب إلى الحزب مع كل دعواته، وأتذكر صديقي المراهق الذي غاب طويلاً قبل أن يعود والكدمات في عينيه وجسده لم تشفَ بعد، كان مرحاً ثرثاراً، عاد في هيئةٍ أخرى، لم نعد نسمع صوته أو نرى ابتسامته التي كانت تميّزه. وإلى اليوم لا ندري لماذا غاب ولماذا تغير؟!

طفل سوري - كفرنبودة ٢٠١٣

كنت أطرحُ على نفسي الأسئلة: لماذا ننجب إذا لم يكن لدينا وطنٌ يليق بأبنائنا؟ وأيُّ فردٍ مشوَّهٍ سيكون من حُرم من طفولته السعيدة؟ وأيُّ غدٍ سيبنيه من عاشوا غضاضتهم في الخوف والدمار والدم والتشرد.

أطفالنا من حقهم أن يشعروا بالطمأنينة، ولا يمكن للطمأنينة أن تحضرَ في ظلِّ القتلة، حتى الأوطان البديلة والتي لا تتوفر إلا للقلة القليلة عاجزةٌ عن منحهم تلك الطمأنينة، لأن الطمأنينة ألفةٌ ومحبةٌ وأمل، وهي لا تجتمع إلا في وطنٍ حرٍّ وكريم.

مواجهة الاستبداد والقتلة ليست مهمةً ضرورية فحسب، إنما هي قضية وجود، قضية أن نكون أو لا نكون، مهما تعسرت وتعثرت وتكلّفت، تبقى هي الموئل من الخراب. تلك هي الحقيقة التي تنضح من نواظر أطفالنا، من أسئلتهم الصامتة، والتي لا تقبل الحلول المجزّأة أو المؤقتة، تلك هي الرسالة التي يجب ألا تغيب عنا مهما تراكم اليأس في نفوسنا.

البلادُ أمامي

وداد نبي

البلاد أمامي
وقلبي مقبرة حُزنٍ ورائي
لا أحتاجُ لمنظار جندي
وبيان من الهيئاتِ المعارضة
لأراها كماهي
زهرة خُزامى ذابلة
بمزهريةٍ من كريستالٍ
على طاولةِ القاتلِ
البلاد أمامي
فما الذي سأفعلهُ بقوائم
لجان الدفاع عن حقوق الانسان
وبأسماء المعتقلين
وصراخ القتلى تحت الأنقاض

البلاد أمامي
غارنيكا جديدة ترسمُها الفضيحة
غارنيكا أغنيها بصوتي الذي لا يصلحُ للغناءِ
غارنيكا أُرسلها بمقطعٍ فيديو للأصدقاءِ في بلاد
الغربة
غارنيكا أُناشد المنظمات الدولية
عن مُدنها التي تحترق حتى حجارتها الأخيرة
أطفال يسرقهم الموت بلا إنذار
فقط
لأن الموت ببلادنا
يمتهنُ النذالة
البلادُ أمامي
ويكفي أن أمدَ عُنقي قليلاً
قليلاً جداً
لأكون شاهدة على المجزرةِ
والبرميلِ
والطائرةِ
والدبابةِ
والأوكسجين الذي يتضاءل رويداً رويداً
فيصدرِ الغيمة الرمادية
البلاد أمامي
لكنني
سأرحل بقفصي الصدري خارجاً
لشمسٍ لا تغدرُ بي
حينما أشرب قهوة الصباح
فأقرأ خبر موت صديقٍ تحت التعذيب
سأرحل
فلا ترسلوا لي أخبار البلاد
لا ترسلوا لي صور جنازات الشهداء
لا ترسلوا لي ورودَ المقابر
سأرحل
وسترحلُ البلادُ أمامي..

لم أعرف كم كان الليل

نص لـ : مصطفى تاج الدين الموسى

وكان أن أضعت (القداحة).. فجأةً، والدي الذي توفي منذ سنتين خرج من خزانتي، ناولني واحدة وهو يبتسم ثم رجع إلى داخل الخزانة.. في سري شكرتُ الله لأن والدي لم ينتبه لهذه العارية النائمة على سريري..

وعلى سبيل الغزل عرقلتها عندما مشينا إلى المطبخ لنأكل، لا أغير عادتي هذه أبداً.. كلما شربت كأسين من النبيذ أبدأ بارتكاب (الغلاظات) الحلوة بحق أقرب جميلة.

التفتتْ إليّ بغضب فصرختُ بها:

ــ خذي ضربة جزاء..

الفراشة التي سقطتْ على كتفها وتحولتْ إلى وشم، لم ينتبه لها سوى المراهقين.

الصرصار الذي سقط على كتفي وتحول إلى وشم، أرغم كافكا على أن يكتبني.

أحاول أن أقنعها بأن مدينتي هي أكثر المدن السوريّة حزناً.

تحاول أن تقنعني بأن مدينتها هي أكثر المدن السوريّة حزناً.

ثم نقرع كأسينا ونشرب، لتسكر في خيالنا مدننا التي هربنا منها.

انفجارات كونية عظيمة وصامتة راقبتها في دقيقتين. الأقمار تتطاير وتتفتت، الكواكب ترتطم ببعضها، المجرات تسقط في انفجارات شموسها.. في مشهدٍ سينمائي بطيء.

كل هذا حدث عندما استلقيتُ جانب جسدها العاري، وكأبله مددتُ سبابتي لأضغط بلطف على حلمة نهدها.

أعتذر يا الله.. لم أكن أعرف أن الضغط على حلمة نهدها هو الطريقة الوحيدة لتدمير هذا الكون.

دائماً يأخذني السرد القصصي إلى حيث لا أريد، يشبه أمي في طفولتي، لم تأخذني إلى مدينة الملاهي، أخذتني دائماً إلى سوق الخضار وأحياناً إلى قبر أبيها.

ــ أنا أسيرة الأحزان..

قالتْ لي بنعومة، استغربتُ!.. لم أسمع سابقاً أن البلدية قامتْ بتزفيت شارع أو تبليط رصيف في منطقة الأحزان.

ــ أنا أسير في نومي.. أحياناً أطارد أشخاصاً غامضين.. وأحياناً هم يطاردونني..

تَصلحُ الحرب أن ينحني أحدنا عليها في وقت متأخرٍ من ليله ليشعل منها سيجارته.

اختفى ظلي فجأةً.. من أيام قال لي إنه ذاهب لشراء علبة سجائر ولم يرجع، أخبرت إمام الجامع فصاح عبر مكبرات الصوت حول المئذنة:

ــ من يعثر على ظلٍ ضائع ليجلبه إلى الجامع وله الآجر والثواب في الآخرة..

على السرير سألتني من بين قبلاتنا الباهتة:

ــ أتحبني؟..

ــ شَعرك جميل.. يشبه الملوخية..

ــ أتحبني؟..

ــ تركت الحب في مدينتي.. حقيبة هروبي كانت صغيرة..

الثلاثاء الماضي وأثناء مشادة كلاميّة حادة بيني وبين شخص آخر يسكن في داخلي، سقط الإبريق ليسيل الشاي الساخن على ساعدي.

لدقائق وأنا أتأمل البخار الحار وهو يتصاعد من ساعدي، وأتساءل في سري:

ــ ماذا يمكن أن يقول الإنسان في مثل هذا الموقف المحرج؟.. نسيت..

أتعبتها وأتعبتني ومعاً أتعبنا سريري الضيق بعد أن نزحنا عن ثيابنا.

عندما انتشتْ المدن السوريّة المدمرة داخل جسدينا.. بكتْ هي بصمتْ ثم نمنا.

استيقظتُ بعد قليل، لم أعرف كم كان الليل، لكنني شعرتُ بأنه كان كثيراً.

نظرتُ إليها فاكتشفتُ أنها قد ماتت.

استدرتُ لأغني أغنيات بلغة غير مفهومة، فلوح لها مودعاً الصرصار من فوق كتفي.

جاء الصباح فأجفل ضوئه الغبي موتها البارد.

حملتها بين ذراعي وقفزتُ بها من نافذتي في الطابق الخامس.

تجمع الناس حول جثتينا العاريتين فوق الرصيف، نزل الصرصار عن كتفي ومشى مبتعداً علّه يعثر على كتفٍ آخر يبدأ فوقه حياةً جديدة.

سألتها بصمتْ:

ــ أمعقول أن لا نعثر على سجائر في العالم الآخر..

ابتسمتْ وقالت بصمتْ:

ــ أريد ضربة جزاء..

القناص / V «أُجيد الخطأ خارج تصالبي.. بمهارةٍ»

عباس علي موسى

نصّ بعنوان «القنّاص»، وهو يعُنى بفلسفة الرصاصة عن طريق الأدب، والقتل بعيني القنّاص الذي يقتلك أحياناً، وفي أحايين أخرى يقتل عدوّك، أو يصيرُ نافذةً على هذا العالم. هذا النص عبارة عن فاتحة لتجريد الطلقة من الرصاص، وحشوها بالحبر. هذا النص جزءٌ من نصوص عديدة تحمل العنوان ذاته، أريد أن أحيلها إلى القرّاء، حيث لم يعودوا قرّاءً فقط، إنهّم ثائرون.

I

-رصاصة/ شامةٌ، على صدرك، لكن..
لا أظنّ أنّها وحِمت على رصاصة!
-هي رصاصةٌ تركها القنّاصة، لم ينأَ بها جسدي.
في زمن الخوف شقّوا صدري وأخرجوا مضغة الخوف منه، ثم زرعوا رصاصة.. ومضوا من غير سَوء.

II

الجدارُ الذي طالما اتكأت عليه، وأنا أرسمُ مساراً لرصاصتي قاتلاً. سيعلّق إليه الأطفال شموساً، وفوارغَ رصاصٍ مَلأَى بحبّات طلعٍ.
الجدار الذي تصالبتُ عليه، في وحدتي، سيفوحُ أطفالاً ومراجيحَ، وتظنّون بي مشتعلاً أبداً!
يوماً ما سأفزعُ، وأنا على فراش الغد، من جندبة تحرّكُ العتمة بصريرها، سأهرعُ إلى قنّاصتي المعلقةِ كذكرى على خاصرة الجدار، في حركة مسعورة، ثمّ سيقرصني الضوءُ على الشرفة، وما الذي ستفعله جندبة سوى أنّها تعطي الليلَ صوتَهُ.
الجنادب هي شفاه الليل!
والرصاصُ هو شفاه العتمة؛ يقتلُ إذ يئزُّ

III

سيارات الإسعاف بنفيرها تفتقُ ما يلتئمُ من الليل، وكيف سأتصالحُ مع الضوء وأنا أقضي ما أقضي في أحضان العتمة، دون أن يرشح مسامي ضوءاً.

IV

في فرصة حياةٍ لأحد المارّة، يمضي به الفزعُ مسرعاً وهو يتأبط الخبزَ، لم يتسنَّ له أن يحدس بما في خاطري:
أنا لا أقنص الخبز وهو يتأبط مارّاً!
حين غفوتُ فجراً خُيِّلَ إليّ أنّه، هو ذاته، من كان يقول لي: لا تُشعل سيجارتكَ مرة أخرى، ثمّة من يتحيّنُ قتلكَ، كما وأنّه من زرعَ في مروري فزعاً، وفي خبزي تهديداً دائماً بالموت.
كم أتذكّرُ تماوج السنبلة، وأنا أدرّب عيني على قتل الموجة في حركتها.
حين أصبتُها، علمتُ أنّ في وسعي قتلُ رغيف خبزٍ أيضاً.
«لكنني يا صاحبي - إذ صحوتُ - درّبتُ عيني على الخطأ أيضاً، فلتمرَّ وخبزَكَ بسلامٍ، فأنا قنّاصٌ أجيد الخطأ خارج تصالبي، بمهارةٍ.

قُبلةٌ لمدينة الأشباح

عبد الكريم بدرخان

مطرٌ يمتطي جنونَ الرياحِ
ويغطّي مدينةَ الأشباحِ
مثلَ وحيٍ يسيلُ من لدُنِ الغيبِ
يخطُّ الآياتِ في الألواحِ
كزواجِ السماءِ والأرضِ تهمي
قُبُلاتُ الأمطارِ فوق البِطَاحِ
آهِ يا حمصُ.. أترعِيْ كأسَ حزني
لنقيسَ الأحزانَ بالأقداحِ
وارجعيني.. طفلاً وراءكِ يحبو
وافطِميني على الشفاهِ الأقاحِ
مطرٌ من غيومكِ البيضِ يهميْ
ياسميناً فوقَ الأسى والجِراحِ
مطرٌ منكِ.. يبعثُ الروحَ فينا
فتضيقُ الأجسادُ بالأرواحِ
مطرٌ منكِ.. يغسلُ الليلُ عنا
ويضيءُ المدى بألفِ صباحِ
قبّليني.. لقد تشقّقَ ثغريْ
في صحارى الغبارِ والأملاحِ
أعبرُ العمرَ كالغريبِ، ووجهيْ
تزدريهِ المرآةُ.. كلَّ صباحِ
أمَلي يائسٌ، أحاولُ شمساً..
أرتقيها.. يذوبُ شمعُ الجناحِ
قبّليني.. لقد سكِرتُ اشتياقاً
رُبَّ شوقٍ يزيلُهُ سُكْرُ راحِ
قبّليني- صحوتُ - ثم اتركينيْ..
مثلَ صاحٍ سكرانَ.. سكرانَ صاحِ

* * *

حمص - شباط ٢٠١٢

HAWA SMART

هوا سمارت

دمشق. حمص. حماه 103.2

حلب. ادلب. اللاذقية. دير الزور 99.6

من الساعة

6 صباحاً - 12 مساءً